

دولة الإمارات العربية المتحدة
جامعة الوصل

مجلة جامعة الوصل

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكَّمة - نصف سنويَّة

(صدر العدد الأول في 1410 هـ - 1990 م)

ذو القعدة - يونيو
1442 هـ / 2021 م



62



العدد الثاني والستون
البريد الإلكتروني: research@alwasl.ac.ae
الموقع الإلكتروني: www.alwasl.ac.ae



مَجَلَّةُ جامعة الوصل

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكَّمة - نصف سنويَّة

تأسست سنة ١٩٩٠ م

العدد الثاني والستون

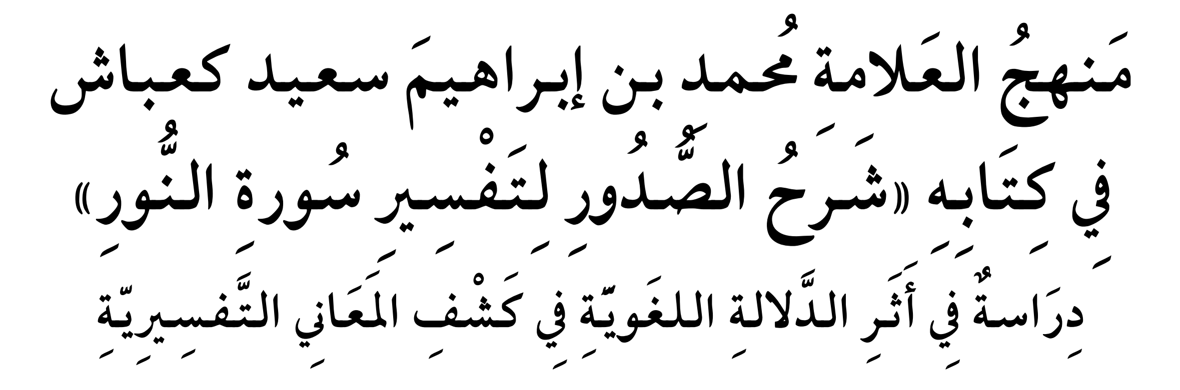
ذو القعدة ١٤٤٢ هـ - يونيو ٢٠٢١ م

ردمد: ١٦٠٧-٢٠٩x

المجلة مفهرسة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ١٥٧٠١٦

البريد الإلكتروني: awuj@alwasl.ac.ae, research@alwasl.ac.ae

المحتويـــــــــــــات



The Approach of the Scholar Mohammed bin Ibrahim Saeed Kabash in his book (i.e. Sharh Al-Sudur - Surat Al-Nur) the Impact of Pragmatic Linguistic in Revealing Interpretative Meanings

د. إبراهيم براهمي
جامعة ٨ ماي ١٩٤٥ . قالمة – الجزائر

Dr. Ibrahim Brahimi
University 8th May 1945 - Guelma, Algeria

https: //doi.org/10.47798/awuj.2021.i62.10



ملخص البحث

تُعدُّ الدَّلالةُ اللغَويّةُ من الجَوانبِ المهمةِ في فَهمِ النّصوصِ وتحليلِها في مُختلفِ حُقولِ عُلومِ العَربيةِ؛ ومِن ذَلك علم التَّفسيرِ؛ إذ لم تَغب عن المُفسرينَ مَكَانَةُ الدَّلالةِ اللغويَّةِ في فَهمِ مَعاني القُرآنِ الكَريمِ ومَقَاصدِهِ واستنباطِ أَحكَامِه. ولِذلكَ جَاءَ مَوضُوعُ هذهِ الدِّراسةِ وَصفًا وتَحليلاً لِمَصادرِ الدَّلالةِ اللغويَّةِ وبياناً لِمظاهرِها في تَفسيرِ العَلامةِ محمدِ كعباش، بِوصفِهَا أَسَاسًا مَنهَجيًا ومَعرفِيًا استَقَى مِنها فَهمَهُ لِمَعَاني القَرآنِ الكريمِ، واقتصرَتِ الدِّرَاسَةُ عَلَى تَفْسِيرِهِ لسُورةِ النُّورِ المُسمَى بـ «شَرح الصُّدُورِ لِتَفسِيرِ سُورةِ النُّورِ». واَستدعى دراسَةُ هَذَا النَّوعُ مِنَ الدَّلالَةِ استعراضُ مَعَارِف مُرتَبطِة بِاللغَةِ العَرَبِيةِ ونِظَامِهَا اللسَاني؛ وَهوَ مَا سَتسعَى إِلَى رَصدِ بَعْضِ أَبعَادِه، وكَشْفِ جَانِبٍ مِنْ خَبَايَاهُ؛ واقتَضَى المَنهَجُ أَنْ تَكُونَ الدِّرَاسةُ فِي خَمْسةِ مَبَاحِث، تَتَصدرهَا مُقدمَةٌ، وتَقفُوهَا خَاتِمَةٌ بِنَتَائِجِ الدِّرَاسَةِ.

الكلمات المفتاحية: الدَّلالَة اللغَويّة، التَّفسِير، سُورةِ النّورِ، الأَحكَام، أَنْواعُ الدَّلالَةِ.

Abstract

Linguistic semantics is one of the important aspects in the comprehension and analysis of texts in the various fields of Arabic sciences; including that of exegesis. Therefore, exege tesdid not miss the role of the linguistic semantics in understanding the meanings of the Noble Qur'an and its objectives, and the deduction of its rules. This study aims at analytical description of the sources of the Arabic semantics and its aspects in the exegesis of the scholar: Mohammed Kaabeche, as a methodological and cognitive basis from which he could understand the meanings of Qur'an. The study is limited to his exegesis of Surat Al-Nur, entitled: (i.e. Expanding breasts in the exegesis of Surah An-Nur). The study of this type of semantics sought a review of knowledge associated with the Arabic language and its linguistic system; which needed to monitor some of its dimensions, revealing some of its hidden parts.The methodology required to have five sections, an introduction and a conclusion containing the results of the study.

Keywords: linguistic semantics, exegesis, Surat al-Nur, rules, types semantics.

المقدمة

تعد علوم اللغة من المعارف الأساس التي ارتكز عليها الفقهاءُ والمفسرون في فهم النصوص الشرعية وتحليلها؛ وقد بدت آثار هذا التصور جلية فيما أُلِف في وقت مبكر في معاني القرآن الكريم، وفي ألفاظه، واشتقاقها، وفصيحها، وغريبها... وما سوى ذلك؛ مما أدى إلى ظهور مباحثَ متعددةٍ لها في أصول الفقه والتفسير؛ وهو الأمر الذي نبّهَ على أهميته علماءُ العربيةِ وحثوا عليه؛ وعقدوا له أبواباً؛ على غرار «فيما يُؤمِّنُهُ علمُ العربيّةِ من الاعتقادات الدِّينيّة»؛ وضمن هذا الباب أكَّدَ ابن جني (ت٣٩٢هـ) أهميةَ الأخذِ بالدَّرسِ اللغويِّ بشكلٍ عام في إدرَاكِ مَعالم الشريعةِ واستنباط أحكامها؛ وذلك في قوله: (اعلمْ أنَّ هذا البابَ من أشرفِ أبواب هذا الكتاب، وأنَّ الانتفاع به ليس إلى غاية، ولا وراءه من نهاية. وذلك أنّ أكثرَ من ضلَّ من أهلِ الشريعةِ عن القصدِ فيها، وحادَ عن الطريقةِ المثلى إليها، فإنما استهواه (واستخفَ حلمه) ضعفُهُ في هذه اللغةِ الكريمة الشريفة التي خُوطب الكافّةُ بها، وعُرضتْ عليها الجنةُ والنار من حواشيها وأحنائها، وأصل التشبيه لله تعالى بخلقه منها، وجَازَ عليهم بها وعنها)[1].

والدِّراسةُ الدلاليّةُ جانبٌ أصيلٌ من العلوم اللغويّةِ التي عرفها الإنسان منذ القدم، سعياً منه إلى إدراك ما حوله من حقائقَ الأشياء ومعانيها، وقد تطورت أبحاثها وتنوعت حتى صارت علماً قائماً بذاته، يعرف في الدرس اللساني المعاصر بـ «علم الدلالة la sémantique»؛ بل إن العلاقة الوطيدة لهذا العلم بالعلوم الأخرى جعلت منه نقطة التقاء محورية لعمليات معرفية إدراكية مختلفة من نحو: التحليل، والتفسير، والتأويل، والقراءة، والفهم. وليس يخفى على الدارسين ما للدلالة اللغوية من أثرٍ في توجيهِ المعنى في القرآن الكريم واستنباط أحكامه؛

١- ابن جني أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ)، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، (د.ط)، ٢٠٠٦، ج٣، ص٢٤٥.

قصد تسهيل فهمها للعامة من الناس. وذلك لا يكون إلا بدراسة نظام اللغة العربية ومستوياته (صوتًا، وصرفًا، وتركيبًا، ومعجمًا)؛ وقد نزل القرآن الكريم بلسان هذه اللغة الشريفة؛﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، و﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣] . وهذا ما ألمح إليه بعضٌ من المفسرين؛ ومنهم ابن كثير (ت٧٧٤هـ) إذ يقول – وهو يصف تفسير التابعين للقرآن الكريم- (إذا أجمعوا على شيءٍ فلا يُرتابُ في أنّهُ حجةٌ، فإنِ اختلفوا فلا يكون بعضهم حجةً على بعض ولا على من بعدَهم، ويُرجعُ في ذلك إلى لغةِ القُرآنِ الكَريمِ أو السُّنةِ أو عُمومِ لُغةِ العربِ)[١].

وقد أظهر علماء التفسير بذلك حِرصَهم على إجادة علوم اللغة العربية وإتقانها، فغاصوا في اللغة العربية كشفا عن دررها ولآلئها؛ فكانت تفاسيرهم منهلاً عذباً لاستقامة المنهج وسلامة التصور، وصورة ناصعة للمنهج اللغوي السليم، وجدنا هذا المسلك القويم عند المفسرين القدامى، من نحو ما نجده في تفسير «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» للمفسر «جار الله الزمخشري» (ت٥٣٨هـ). وفي العصر الحديث في تفسير «التحرير والتنوير» للمفسر «محمد الطاهر بن عاشور» (ت١٩٧٣م)، وفي «التفسير البياني للقرآن الكريم» للمفسرة عائشة بنت عبد الرحمن المعروفة بـ «بنت الشاطئ» (ت١٩٩٨م) وسوى هؤلاء الأعلام من المفسرين عدد غير قليل.

وقد حذا حذوهم المفسر العلامة المعاصر محمد بن إبراهيم سعيد كعباش في تفسيره للقرآن الكريم المعروف بـ«نَفحاتُ الرَّحمانِ في رِياضِ القُرآنِ»؛وقد بدت لي أهميته في هذا المسلك من خلال تفسيره لسورة النور التي خصها بكتاب

١- ابن كثيرا(ت٧٧٤هـــ)، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٠٢، ١٩٩٩، ج١، ص١٠.

مستقل سمّاه «شَرْحُ الصُّدُورِ لِتَفْسِيرِ سُورةِ النُّورِ»[1]- وهو جزء من تفسيره الكبير للقرآن الكريم-؛ حيث قدم إشارات لغوية متنوعة؛ كانت السند القوي في تيسير فهم ما تضمنته هذه السورة من أحكام جليلة لا سيما ما تعلق بالتوجيهات الأخلاقية والآداب في المعاملات الاجتماعية؛ إذ لا يكاد يخلو تفسيره لكل آية من آيات سورة النور مما أسماه هو؛ بـ«التحقيق اللغوي»؛ الذي أرى فيه فصولاً لغويةً مهمة متضمنة لمسائل دلالية متميزة؛ جديرة بحظوة الدارسين وعنايتهم. وتكمن أهمية هذه الدراسة في توجيه الدارس اللغوي لهذا التفسير الذي يجد فيه مجالاً خصباً للتحليل اللغوي في قضايا المعجم والنحو والصرف والصوت... وقد دل ذلك كله بالنسبة لنا على إدراك المفسر لأهمية المنهج اللغوي في استنباط الأحكام الشرعية المتضمّنة في السورة، وكشف من جانب آخر عن سعةِ اطِّلاعِهِ ورصيده المعرفي المشبع بعلوم اللغة العربية. هذه المسائل اللغوية المهمة، وهذه الأبعاد المميزة لشخصية المفسر هو ما ترنو هذه الدراسة- وفق منهج وصفي استقرائي - إلى الكشف عنه وإبراز بعض جوانبه.

ومع عرض هذه المسائل كان من الأهمية بمكان بيان مفهوم الدلالة اللغوية وأنواعها، وأهميتها عند المفسرين، ومصادرها في تفسير هذاالمفسر المعاصر؛الذي أضاف لبنة جديدة إلى صرح مكتبة التفسير في هذا القطر الزاخر ماضيه وحاضره بجهود العلماء المفسرين. وتجدر الإشارة هنا إلى أن سورة النور حظيت باهتمام العلماء والمفسرين في العصر الحديث؛ ومن الدراسات المعاصرة التي أُلِفت فيها:

- تفسير سورة النور، لأبي الأعلى المودودي[2].

١- ينظر: محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط٠١، ٢٠٠٧؛ وقد جاء تفسيره هذا للسورة في كتاب متوسط الحجم، ويضم ٢٠٨ صفحة.

٢- أبو الأعلى المودودي (ت١٩٧٩م)، تفسير سورة النور، تر: محمد عاصم الحداد، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط٠١، ١٩٦٠.

- انشراح الصدور في تدبر سورة النور، لسليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم[١].

وقد جاءت الدراسة من حيث تصميمها وفق ما يأتي:

- مقدمة أوضحت فيها أهمية الدلالة اللغوية ومنزلتها في توجيه معاني القرآن الكريم واستنباط أحكامه.
- خمسة مباحث عرضت فيها لجانب من سيرة المفسر «محمد بن إبراهيم سعيد كعباش»، فمفهوم الدلالة اللغوية وأنواعها، فأهمية الدلالة اللغوية عند الأصوليين والمفسرين، ثم تطرقت لمصادر الدلالة اللغوية في تفسير الشيخ كعباش، ثم فصلت القول في أنواع الدلالة اللغوية في «شرح الصدور لتفسير سورة النور».
- خاتمة أوجزت فيها أهم نتائج الدراسة.

المبحث الأول: لمحة من سيرة المفسر «محمد بن إبراهيم سعيد كعباش»

هو محمد بن إبراهيم سعيد المعروف بـ(كعباش)، من مواليد بلدية العطف محافظة غرداية -من محافظات الجنوب الجزائري- وآل سعيد فرع أصيل من عشيرة أولاد بكة المعروفة في بلدة العطف (المشهورة بتاجانينت).

أبصر نور الحياة خلال سنة ١٩٢٩م في حُضنِ أبوين كريمين هما: سعيد إبراهيم بن باحمد، وبهون شيخة بنت الحاج محمد. تركه والده يتيماً فقيراً لا يزيد عمره على سنتين، وليس معه إلا أختان توفّيت إحداهما؛ فأصبح وحيد أمه وأخته وقرة عين لهما؛ واعتنت أمه بتربيته على حُبِّ الله ورسولِهِ وعلى حفظ كتاب الله

١- سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم، انشراح الصدور في تدبر سورة النور، دار العاصمة، الرياض، السعودية، ط٠١، ٢٠٠٥.

في سنٍّ مبكّرة، وقد وهبهُ اللهُ ذاكرةً قويّةً، وذكاءً لامعاً ولم يكن كُتابُ قريته ليُقنِع طموحَهُ في التعلم، فارتحل إلى «معهد الحياة» بمدينة القرارة عند الإمام الشيخ بيوض الحاج إبراهيم بن عمر، ثم ارتحل إلى تونس الخضراء حيث درس العلوم العربية والشرعية في الجامع الزيتوني، ودرس العلوم التطبيقية في المعهد الخلدوني. وقد أسهم العلامة محمد بن إبراهيم سعيد كعباش بقسط وافر من التّضحية والجهاد في صفوف جبهة التحرير الوطني، ثم تشرف بعضوية المنظمة الوطنية للمجاهدين دون منٍّ ولا غُرورٍ.

بدأ العمل في مجال التربية والتعليم أستاذاً ثم مديراً في القطاع الديني الحرّ زمن الاستعمار، ثم في القطاع العمومي بعد الاستقلال الوطني حتى تقاعده عن العمل سنة ١٩٩٠م. انتسب إلى الجامعة في أوائل السبعينيات؛ فحصل على شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي، وكان قد انخرط عضواً رسميّاً في حلقة العزابة للمسجد الجامع بالعطف في سنة ١٩٥٨م. ثم عينته الحلقةُ إماماً ومرشداً في سنة١٩٧٠م، وهو ما يزال يقوم بمهمته النبيلة في الإصلاح الديني والاجتماعي نُصحاً وإِرشاداً وتجليةً لمعاني كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على منبر المسجد، بعد أن حذا بصفوف الأجيال على مقاعد الدراسة لما يقارب من أربعين سنة في مسيرة مهنية متواصلة لم تنقطع بمدة مرض، ولم ينحرف عن الخط لوجهة أخرى، وذلك بفضل الله تعالى، وهو متزوج وأبٌ لتسعة أبناء، وفقه الله تعالى لمواصلة مسيرته في نصرة دينه وخدمة كتابه، وجعل عملَهُ خالصاً لوجهِهِ تعالى.

استطاع بتوفيق الله وعونه استكمال تفسيره للقرآن الكريم في حلقات الدرس التي كان يعقدها أسبوعيًّا في مساجد المدينة؛ وقد حمل هذا التفسير عنوان: «نفحات الرحمان في رياض القرآن»؛ وقد أقيم بمناسبة ختمه لهذا التفسير مهرجان

ديني احتفالي ضخم انعقد في يوم السبت ٢٢ جمادى الثانية ١٤٣٦هـ الموافق ليوم: ١١إبريل٢٠١٥م؛ رعته السلطات الرسمية بحضور وزير الشؤون الدينية، ومحافظ الولاية والسلطات المحلية، وحضور عدد من علماء الجزائر ومشايخها؛ وقد حظي سنة ٢٠١٦م بمنحه وسام الاستحقاق الوطني من قبل رئيس الجمهورية بوصفه شخصية علمية مشهوداً لها بالعطاء العلمي. هذا التفسير الذي نحسب أنه يضاف إلى رصيد الأمة قاطبة مبرزاً الجهود العلمية لعلماء الجزائر في تفسير كلام الله تعالى وتيسير فهمه وحفظه[١].

المبحث الثاني: تعريف الدلالة اللغوية وأنواعها

الدلالة من المفاهيم البارزة قديمًا وحديثًا، وتتبع النظر فيما تمنحه المعاجم اللغوية للجذر الذي تتولد منه هذه المادة اللغوية (دلل) يقدم لنا قدرا من المعطيات المعرفية التي تتمحور كلها حول معنى رئيس هو: الهداية والإرشاد إلى القصد المرغوب، والطريق السوي[٢]؛ وهو المعنى الذي نلمسه في آيات القرآن الكريم[٣]، والأحاديث الشريفة[٤]. ودلالة اللفظ هدايته إلى معناه[٥]؛ أي أن

١- ينظر في هذه السيرة الموجزة كتاب: مجموعة من المؤلفين، فعاليات مهرجان ختم تفسير القرآن الكريم لفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، دار الكتاب الملكي، بئر التوتة، الجزائر، ط٠١، ٢٠١٥، ص١٨.

٢- ينظر: ابن منظور(ت٧١١هــ)، لسان العرب، طبعة دار الجيل، بيروت، لبنان، (د.ط)، ١٩٨٨، مادة (دلل).

٣- في مثل: ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾ [طه: ٤٠] . و﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ [القصص: ١٢] . و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الصف: ١٠] .

٤- في مثل قول الرسول ﷺ: ﴿إنا لدال على الخير كفاعله﴾ رواه الترمذي في سننه في كتاب العلم باب" ما جاء الدال على الخير كفاعله الحديث رقم٢٦٧٠؛ للتوسع ينظر: الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى(ت٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح، تح: إبراهيم عوض، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، مصر، ط٠٢، ١٩٧٥م، ج٠٥، ص٤١، وأخرجه الألباني بأنه حديث صحيح، رقم الحديث٣٣٩٩. وللتوسع ينظر: الألباني محمد ناصر الدين(ت١٩٩٩م)، صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٠٣، ١٩٨٨، مج٠١، ص٦٤٠.

٥- ينظر: الفيروز آبادي(ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٠٨، ٢٠٠٥، مادة (دلل).

الدلالة هي الموصلة إلى مراد اللفظ ومقصوده في الكلام.

ولا تختلف التحديدات الاصطلاحية لمفهوم الدلالة كثيرًا عما سلف؛فقد عرفها الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ) في مفرداته بقوله: (الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلمُ أنهُ حي؛ ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾ [سبأ: ١٤] ، وأصلُ الدلالةِ مصدرٌ كالكتابةِ، والإمارةِ. والدالُ: من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعالم، وعليم، وقادرٍ، وقديرٍ، ثم يُسمى الدالُ والدليلُ دلالةً، كتسمية الشيء بمصدره)[١].

وحدها الشريف الجرجاني (ت٨١٦هــ) بقوله: (هي كونُ الشيءِ بحالة يلزمُ من العلم به العلمُ بشيء آخر، والشيءُ الأولُ هو الدالُّ، والثاني هو المدلولُ)[٢].

ويضيف زكريا الأنصاري(ت٩٢٦هــ)في تحديده لمفهوم الدلالة ببيان أقسام الدلالة التي جعلها ثلاثة أقسام:

أ- دلالةُ اللفظ على معناه مطابقةٌ،

ب- وعلى جزئه تضمُّنٌ،

ج- وعلى لازمه الذهني التزامٌ. والأخيرةُ شاملة لدلالة الاقتضاءِ، ودلالةِ الإشارة، ودلالةِ الإيماء؛ لأنه إنْ توقّف صدق المنطوق أو صِحتُه على إضمارٍ فدلالةُ اقتضاء، وإلا فإنْ دلَّ على ما لم يُقصد فدلالة إشارة، وإلا فدلالةُ إيماءٍ:

١- الراغب الأصفهاني(ت٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط٠٤، ٢٠٠٩، باب حرف الدال ص٣١٦.

٢- الشريف الجرجاني(ت٨١٦ه)، التعريفات، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، (د.ط)، ١٩٨٥، ص٩٣.

فالأوّلُ؛ مثل الحديث النبوي الشريف: ﴿إِنَّ اللهَ وَضَعَ عن أمتِي الخَطأَ والنِّسيانَ وما استكرهوا عليه﴾[١] أيْ؛ المؤاخذة بهما.

والثاني؛ كقوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] أيْ؛ أهلَها.

والثالث؛ كقولك لمالكِ عبدٍ: أعتقه عني، ففعل؛ أيْ مَلّكهُ لي، فأعتقْه عنّي[٢].

نلاحظ من خلال هذه التحديدات اللغوية والاصطلاحية شيوع مفهوم الدلالة في التراث العربي وازدهاره في ميادين متعددة. ففي الدرس اللغوي العربي تجلت صوره في عديد المباحث من نحو: الحقيقة والمجاز، والمشترك اللفظي، والترادف، والأضداد، والاشتقاق[٣]؛ وتعدى اهتمام الدارسين لها مجال الدرس اللغوي؛ بل صارت مجالًا خصبًا للأبحاث الأصولية الفقهية، والتفسيرية، والمنطقية الفلسفية وسواها...

وفي الدرس اللساني المعاصر نجد أن الدلالة غدت مفهومًا محوريًّا في التحليل اللغوي، بل أمست علمًا مستقلًا بذاته وصف بـ «علم الدلالة la sémantique»؛وعرفه الدارسون بأنه: ((دراسة المعنى)) أو ((العلم الذي يدرس المعنى)) أو ((ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى))...[٤]. وتنقسم الدلالة في الدرس اللساني- بحسب مستويات النظام اللغوي- إلى أربعة أقسام: دلالة معجمية، ودلالة صوتية، ودلالة صرفية، ودلالة نحوية؛

١- أخرجه ابن ماجه في كتاب الطلاق: باب طلاق المكره والناسي، الباب ١٥، رقم ٢٠٤٥. للتوسع ينظر: ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت. ط، ص٦٥٩. وأخرجه الألباني بأنه حديث صحيح، رقم الحديث١٨٣٦؛ للتوسع ينظر: الألباني محمد ناصر الدين(ت١٩٩٩م)، صحيح الجامع الصغير وزيادته، مرجع سابق، مج٠١، ص٣٧٥.

٢- ينظر: زكريا الأنصاري(ت٩٢٦هـ)، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تح: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط٠١، ١٩٩١، ص٧٩.

٣- ينظر في بيان اصطلاحات هذه المباحث اللغوية المهمة في الدراسة اللغوية: إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، ط٠١، ١٩٨٢، ص١٧٣، ١٨٥.

٤- ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط٠٥، ١٩٩٨، ص١١.

وسيأتي التفصيل عن حضورها في تفسير الشيخ كعباش لاحقًا.

المبحث الثالث: أهمية الدلالة اللغوية عند الأصوليين والمفسرين

انصب اهتمام الأصوليين والمفسرين على السبل المعينة على فهم النص القرآني المقربة لمعانيه؛ فكان إدراك سنن اللغة العربية وكنه أسرارها المطيّةَ المثلى لتحقيق مقاصدهم الشرعية؛ إذ أسهموا في وضع أسس الممارسة اللغوية الدلالية؛ فتحدثوا (عن العام والخاص، وعمّا في اللغة من بعض ألوان التَّجوز والترادف والاشتراك، أي ما تملي به إيحاءات اللغة نفسها، وما تمليه طبيعة التطور، واهتموا بدلالة الألفاظ؛ والتطور الدَّلالي للَّفظِ حتى يتمكنوا من تحديد المعنى المقصود من وراء الأساليب التي يتعرضون لها؛ فتحديد المعنى يتوقف عليه معرفةُ الحكم وتحديدُهُ)[1].

هذه الجهود من الأصوليين والمفسرين عدت إضافةً فريدةً للبحث الدلاليِّ في الدرس اللغويِّ العربي القديم، وقد أسسوا بها لمسلكهم في فهم ألفاظ القرآن الكريم؛ ومن ذلك أنَّه كان من منهجهم(إذا لم يكن للكلمة اصطلاح خاص في القرآن والسنة وجب أن تفسر حسب عموم لغة العرب؛ وذلك إذا ذكرت الكلمة ذكراً مطلقًا أيْ؛ إن لم يَذْكُرِ الله تعالى، ولا النبي ﷺ في سياقها ما يوضح المراد منها، ولم يَذْكُر لها تفسيراً، ولا فسرها الصحابةُ رضي الله عنهم، أو فسَّرها الصحابة واختلفوا، وكذلك التابعون؛ ولذلك كان المفسرون يستعينون في ذلك بالشعر)[2].

ثم إنهم فرقوا بين الألفاظ؛ ومن ذلك التفريق بين المطلق والمقيد؛ (فالمطلق: هو عبارة عن اللفظ الخاص الشائع في جنسه من غير شمول لعدد ما، ولا تعيين

١- ينظر: السيد أحمد عبد الغفار، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، (د.ط)، ١٩٩٦، ص ١١.

٢- محمود أحمد الزين، أهمية اللغة العربية في فهم القرآن والسنة، دائرة الشؤون الإسلامية، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط٠١، ٢٠٠٩، ص١٨.

كلفظ (حيوان) فهو خاص بالجنس، ويدل على أمرٍ واحدٍ شائع في جنسه دون حصر، والمقيد: هو اللفظ الذي خرج عن الشيوعِ بوجهٍ ما، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ ﴾ [النساء: ٩٢] ؛ فلفظُ(رقبةً) خاصٌ مطلقٌ قُيدَ بقيد لفظيٍّ)[١].

ودلالة اللفظ على المعنى عند علماء الأصول والتفسير(محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص. ووجهُ ضبطِهِ أنَّ الحكم المستفاد من النظم: إما أن يكون ثابتًا بنفس النظم أولا، والأوّلُ: إنَ كان النَّظمُ مسوقاً له فهو العبارةُ، وإلا فالإشارةُ، والثاني: إن كان الحكمُ مفهومًا من اللفظ لغة فهو الدلالةُ، أو شرعاً فهو الاقتضاءُ، فدلالةُ النَّصِ عبارةٌ عما ثبت بمعنى النص لغةً لا اجتهاداً. فقوله: لغة، أي يَعرفهُ كلُّ من يعرفُ هَذا اللسان بمجرد سماع اللفظ من غير تأمل، كالنهي عن التأفيف في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ ﴾ [الإسراء: ٢٣] ، يوقفُ به على حُرمةِ الضَّربِ وغيره مما فيه نوعٌ من الأذى بدون الاجتهادِ)[٢].

وبالنظر إلى منهج الأصوليين والمفسرين يتضح لنا أنهم يعتمدون في تحديد الدَّلالةِ اللفظية عل أسس ثلاثة هي:

- أولها: النظر في الدلالة الأولى للفظة المفردة.
- ثانيها: تتبع التطور الدلاليِّ لتلك اللفظة، وما يظللّها من المفاهيم التي تتوارد عليها بعُرفِ الاستعمال.
- ثالثها: مراعاةُ تحقيق أهداف الشريعة بالتعرف إلى قصد المُشرِّعِ[٣].

١- ينظر: السيد أحمد عبد الغفار، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، مرجع سابق، ص٩٧.
٢- الشريف الجرجاني، التعريفات، مصدر سابق، ص٩٣.
٣- ينظر: السيد أحمد عبد الغفار، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، مرجع سابق، ص١١٧.

المبحث الرابع: مصادر الدلالة اللغوية في تفسير الشيخ كعباش

اعتمد المفسر في تفسيره «شرح الصدور لتفسير سورة النور» على عدة مصادر لبيان الدلالة اللغوية لألفاظ هذه السورة المباركة من القرآن الكريم؛ يأتي في صدارتها القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، ويليهما كلام العرب شعراً ونثراً

١- القرآن الكريم

يعد القرآن الكريم من أهم المصادر التي اعتمدها الشيخ كعباش في تفسيره للقرآن الكريم، وفي بيان دلالة ألفاظه وتراكيبه، وهذا النهج من المفسر في تفسير القرآن بالقرآن؛ يظهر اعتقاده الجازم بحجية لغة النص القرآني وقراءاته؛وهو لا يختلف في ذلك عن شأن اعتقاد النحاة في أن (العبادَ إنَّما كُلِّموا بكلامِهم، وجاءَ القرآنُ على لغتِهم وعلى ما يَعنونَ، فإنما أُجريَ هَذا على كلامِهم وبه أُنزلَ القرآنُ)[1]، وعلى هذا فحري بمن يريد أن يفهم الخطاب القرآني أن يتدرج من لغة هذا الخطاب نفسه ثم الانتقال إلى سواه؛ وقد كان هذا فهم الرسول ﷺ؛ وهو أول مفسر للقرآن الكريم ومن تبعه من الصحابة والتابعين.

بدا هذا التصور عند الشيخ كعباش واضحًا في تفسيره؛ فمرجعه الأول في بيان دلالات القرآن الكريم في سورة النور هو الاستدلال لها بالقرآن الكريم؛ وقد أحصيت أكثر من خمس وسبعين(٧٥)آية قرآنية استدل بها، ويأتي سياق هذا الاستدلال عادة ما في إطار الإثبات والتوضيح لحكم شرعي أو وصفه أو إجماله أو تفصيله أو سواها من المقاصد؛ ومن ذلك بيان المفسر للدلالة اللغوية للفظ

١- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط٠٣، ١٩٨٨، ص٣٣٢.

«المُحْصَنَات»[١] في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٠٤] ؛ ورد الوصف في القرآن لمعنيين: الإحصان بالزواج الشرعي ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ ﴾ [النساء: ٢٤] ؛ أي الحرائر المتزوجات تحرم خطبتهن ونكاحهن. ويأتي الوصف بمعنى العفة والطهارة وهو المراد في هذه الآية، ومنه قوله تعالى في مريم عليها السلام: ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا ﴾ [الأنبياء: ٩١] [٢]؛ فنلاحظ أنه استشهد لدلالة هذا اللفظ بآيتين من موضعين مختلفين من القرآن.

ومن ذلك أيضاً توضيحه للدلالة اللغوية للفظ «زكا «في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [النور: ٢١] : زكا يزكو: صلُح، يقال زكا الزّرع إذا صلُح ونما، ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴾ [مريم: ١٩] . بمعنى صالحاً تقيًّا[٣]. والأمثلة كثيرة عند المفسر في تفسير القرآن بالقرآن؛ ومنها- كما سبق القول – ما يفيد التوضيح أو التعميم أو التخصيص.

٢ – الحديث الشريف

يعد الحديث النبوي المصدر الثاني عند الشيخ كعباش في تفسيره للقرآن الكريم، وفي استخلاص الدلالة اللغوية لألفاظه وتراكيبه، ولا خلاف في منزلة الحديث الشريف عند الأصوليين والمفسرين؛ إلا ما كان من أهل النحو؛ وهم

---

١ - من ألفاظ القرآن الكريم التي وردت في أكثر من موضع ، ومن ذلك: سورة النساء في الآية ٢٥، سورة المائدة الآية ٠٥، سورة النور في الآيتين ٠٤، ٢٣. للتوسع ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، د. ط، ١٣٦٤هـــ، ص٢٠٦.

٢ - محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص٣٢.

٣- نفسه، ص٦٢.

معذورون بحسن اعتقادهم وحرصهم على سلامة منهجهم اللغوي[1].

وعلى نهج المفسرين سار الشيخ كعباش في استدلاله بالحديث النبوي الشريف توضيحًا للمعاني الجليلة لألفاظ القرآن وتأكيدا لها، وفي تفسيره لسورة النور؛وقد أحصيت قرابة خمسة وأربعين (٤٥) حديثًا نبويًّا شريفًا جُلُّها مثبتة في مسرد الفهارس[2].

ومن ذلك ما جاء في سياق بيان الدلالة اللغوية للفظ «الْأَيَامَى» من قوله تعالى: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ [النور: ٣٢] . فبعد شرحها بقوله: مفردُهُ أَيِّمٌ، يستوي فيه المذكرُ والمؤنثُ؛ أيْ الرجلُ لا زوجةَ له، والمرأةُ لا زوجَ لها، سواء أتزوج أحدُهما من قبلُ أمْ لم يتزوج، وسواء أكانتِ المرأةُ بكراً أو ثيباً[3].

قال رسول الله ﷺ: «أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ[4] الْخَدَّيْنِ تأيّمت على ولدها الصغار حتى يبلغوا أو يُغنِيهمُ الله من فضلِهِ كَهَاتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[5].

وفي سياق مماثل جعل الشيخ كعباش من الحديث سنداً قوياً في تأييد

١- يعلل الأصوليون في النحو عدم تعويلهم الكبير على الحديث النبوي في وضع أدلة النحو بهذين السببين؛ (وهما السبب العقدي، والسبب اللغوي الصرف، وهو أن الحديث في أغلبه روي بالمعنى ولم يرو باللفظ).للتوسع ينظر: سعيد الأفغاني(ت١٩٩٧م)، في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٠١، ١٩٨٧، ص٥٩.

٢- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص٢٠٢.

٣- ينظر في شرح هذه اللفظة القرآنية: الراغب الأصفهاني(ت٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، باب حرف الهمزة، ص١٠٠.

٤- السفع: السواد والشحوب؛ أراد أنها بذلت نفسها وتركت الزينة والترفه حتى شحب لونها واسود، إقامة على ولدها بعد وفاة زوجها؛ للتوسع ينظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور(٧١١هـــ)، لسان العرب، مصدر سابق، مادة (سفع).

٥- ينظر: باب فضل من يعُولُ يتيمًا، من كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري، وزاد في شرحه: أَيِمَتْ مِنْ زَوْجِهَا ذَاتُ مَنْصِب وَجَمَال حَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى يَتَامَاهَا حَتَّى بَانُوا أَوْ مَاتُوا أَنَا وَهِيَ فِي الْجَنَّة كَهَاتَيْنِ. لَلتوسع ينظر: العسَقلاَني أحمَد بن علي بن حجر(ت٨٥٢هـــ)، فتح الباري بشَرحَ صحيحَ الإمَامَ البخاري، تح: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، السعودية ط٠١، ١٣٧٩ه، ج٠٥، ص٤٣٦.

رؤيته اللغوية التحليلية الجامعة لدلالة المفاهيم الشرعية ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]؛ ارتكز في تحليله لمفهوم غضِّ البَصرِ الحَافظِ لسلوك المسلم من جريرة تبعاته؛ بقول الرسول ﷺ في نصح الإمام علي- كرم الله وجهه- ﴿يَا عَلِيُّ لا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ﴾(٦).

ولا يكتفي الشيخ كعباش بحديث واحد سندًا لتحليله؛ بل يتبع هذا الحديث النبوي بآخر أبلغَ وصفاً وتمثيلاً؛ وهو حديث الرسول ﷺ عن عبد الله بن مسعود. قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ النَّظْرَةَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ، مَنْ تَرَكَهَا من مَخَافَتِي أَبْدَلْتُهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ﴾(٧). هذا الحشد للأحاديث النبوية في موضع واحد من التفسير تؤكد مكانة السنة في نفس المفسر منهجًا معينًا على بيان الدَّلالاتِ اللغويَّةِ التي يَطفحُ بها النَّصُ القُرآنيُّ.

٣- كلام العرب

لا يختلف الدارسون في كون كَلامِ العَربِ حُجةً في الاستشهاد والاستدلال؛ وقد سلك المفسرون مَسلك النُّحاةِ في الأخذِ بهذا المبدأ؛ وليس أوضحُ في بيان منزلة هذا الكلام ولا أجمل من وصف الإمام علي-كرم الله وجهه-في قوله: (كلامُ العربِ كالميزانِ الذي يُعرَفُ به الزِّيادةُ والنُّقصانُ، وهو أعذبُ منَ الماءِ، وأرقُّ منَ الهواءِ، إنْ فسَّرتَهُ بذاتِهِ استصعبَ، وإِنْ فسَّرتَهُ بغيرِ معناه استحالَ.

٦- رواه الترمذي في كتاب الأدب في باب مَا جَاء في نَظْرةِ المُفَاجأة، رقم الحديث ٢٧٧٠. للتوسع ينظر: الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى، الجامع الصحيح، مصدر سابق، ج٠٥، ص١٠١. وأخرجه الألباني بأنه حديث حسن رقم الحديث ٧٩٥٣؛ للتوسع ينظر: الألباني محمد ناصر الدين (ت١٩٩٩م)، صحيح الجامع الصغير وزيادته، مرجع سابق، مج٠١، ص١٣١٦.

٧- رواه الحاكم في مستدركه؛ في كتاب الرقاق، رقم الحديث ٧٨٧٥. للتوسع ينظر: النيسابوري الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٠٢، ٢٠٠٢، ج٠٤، ص٣٤٩.

فالعربُ أشجارٌ وكلامُهم ثمارٌ)[1]، وقد كان للشيخ كعباش في تفسيره عناية متميزة بهذا الجانب بوصفه مصدرًا أصيلًا لبيان دلالة الألفاظ في تفسيره.

أ- الشعر

عُنيَ الشيخ كعباش في بيان دلالةِ الألفاظ بالاعتماد على الشعر الذي هو كتاب العرب وحافظ مآثرهم وقيمهم الأَخلاقية والاجتماعية؛ وهو ما دعاه إلى أن يجعل من الشواهد الشعرية مرتكزًا أمينًا لإيضاح المعاني، والهداية إلى مقاصدها الرشيدة؛ وقد كفانا مسرد الفهارس باستخراج شواهده الشعريةالتي تجاوزت أربعة عشر شاهدًا شعريًّا[2]. وسأكتفي هنا بإيراد بعضها على سبيل التمثيل، ومن ذلك ما ورد في سياق شرحه للفظة «سراب» من قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [النور: ٣٩] ؛ قال المفسر: (السرابُ أو الآلُ ما يراه المسافر كالماء من بعيد في أرضٍ مستويةٍ عند اشتداد الحرِّ حتى لكأَنَّهُ بركةُ ماء، وهو يلتصقُ بالأرض، بينما الآلُ يرتفعُ عنها في وقت الضحى)[3]. ثم يَستشهدُ لهذا الكلام بقول الشاعر (من بحر الطويل):

فَلَمّا كَفَفْنَا الْحَرْبَ كَانَتْ عُهُودُهُمْ		كَلَمْعِ سَـرَابٍ بالفلا متألق[4]

وفي بيانه للدلالة اللغوية للتركيب سَنَا بَرْقِهِ «من قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾ [النور: ٤٣] ، قال المفسر: السّنَا- بالقصر- ضوءُ البرق؛ وبريقُ النّارِ، والسّناءُ - بالمد- الشرفُ والرفعةُ[5]؛ جمع ذلك ابن زيدون في هذا البيت

١- الرازي أبو حاتم (ت٢٧٧هـ)، كتاب الزينة، معجم اشتقاقي في المصطلحات الدينية والثقافية، تح: سعيد الغانمي، منشورات الجمل، بغداد، العراق، (د.ط)، ٢٠١٥، ص٩١.

٢- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص٢٠٦.

٣- المصدر نفسه، ص١٣٦.

٤- لم أعثر له على قائل؛ وهذا البيت الشعري المجهول القائل شاهد أغلب المفسرين لهذه الآية من سورة النور.

٥- ينظر: الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ص٤٢٩.

الشعري (من بحر الرمل):

يَـا أَخَـا الـبَـدْرِ سَـنَـاء وَسَـنَـا حَـفِـظَ اللهُ زَمـانًـا أَطـلَـعَـك[٦].

وفي سياق بيانه لدلالة لفظة المشكاة في سورة النور، الآية(٣٥)[٧] من السورة استشهد بشعر أبي تمام(ت٢٣١هـ)؛ إذ يقول: وقد استمد أبو تمام المثل لممدوحه حين عاب عليه جُلّاسُ الخليفةِ، إذ قالوا: الخليفة هو أعظم من المثل الذي جئت به فقال لتوه (من بحر الكامل):

لا تنكروا ضربي لـهُ مـنْ دونـهِ مَثَلاً شَرُودًا في النَّدى والبَاسِ

فـاللهُّ قـد ضَـرَبَ الأقـلَّ لِـنُـورِهِ مَثَلاً مِنَ المِشْكَاةِ والنبْرَاسِ[٨].

ولعل الملاحظة البارزة في هذا الجانب؛ أن منهج الشيخ كعباش في أخذه بالشواهد الشعرية في تفسيره قائم على منهج الأخذ بالشواهد الشعرية المعلومة القائل، والمجهولة المشهورة في الاستشهاد في الموضع الذي يراه مناسبًا لذلك.

ب- النثر

أجاد العرب في نثرهم كما برعوا في شعرهم؛ فصاغوا من كلامهم روائع الأقوال والأمثال والحكم السائرة؛وقد مال الشيخ كعباش في تفسيره إلى الأخذ بالمأثور منها لما يحمله من دلالات لغوية متنوعة؛وكان أكثر ما استشهد به من مأثور أقوال الصحابة والتابعين[٩]. لما له من فضل في فهم أحكام الدين؛مع ما اتصفت به

٦- ابن زيدون(ت٤٦٣هـ)، ديوان ابن زيدون، تح: يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٠٢، ١٩٩٤، ص٢٠٩.

٧- ينظر في موضع الاستشهاد به: محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص١٢٢.

٨- الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام(ت٢٣١هـ)، تقديم ومراجعة: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٠٢، ١٩٩٤، ج٠١، ص٣٦٢.

٩- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص٢٠٥.

من البساطة في بنيتها ودلالتها؛ مما يتناسب وتفسير القرآن الكريم للخاصة والعامة من الناس في حلقات الدرس والمساجد.

ويأتي في صدارتها القول المأثور الذي روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؛ ذلك أن بعض آي هذه السورة ارتبط بها في قصة الإفك، وأول كلام استشهد به لها؛ هو قولها رضي الله عنها: ((علّموا نساءكم سورة النور والغزل))[١]؛ محرِّضةً المؤمنين بهذا القول على ضرورة تعليم النساء سورة النور لما شملته مما يتعلق بهن من أحكام التشريع، واستشهد لها بحديث آخر[٢]؛ ((حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهَّ بْنُ يُوسُفَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ يَحْيَى بْن سَعِيد عَنْ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «لَوْ أَدْرَكَ رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم مَا أَحْدَثَ النِّسَاءُ لَمَنَعَهُنَّ كَمَا مُنِعَتْ نِسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. قُلْتُ لِعَمْرَةَ: أَوَ مُنِعْنَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ»)).[٣]

ومن ذلك أيضًا استشهاد المفسر[٤] بما أورده عن سيدنا عمر رضي الله عنه في قصة: قول أحد رجلين لآخر: مَا أَنَا بِزَانٍ وَلاَ أُمِّي بِزَانِيَة. فَقَالُوا: إِنَّهُ قَدْ مَدَحَ أَبَاهُ وَأُمَّهُ، فَقَال عُمَرُ: قَدْ عَرَّضَ لِصَاحِبِهِ، فَجَلَدَهُ الْحَدَّ ثَمَانِينَ جلدةً[٥]. فأشار المفسرُ بذلك إلى نباهة سيدنا عمر وفطنته لمقصد الرجل. وقد أورد عددًا من الأقوال المأثورة لعدد من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم من نحو: الفاروق عمر بن الخطاب، وأُبي بن

١- الاستشهاد بهذا القول المأثور عند المفسر جاء في المقدمة في سياق الحث على تعلم سورة النور؛ وهو جزء من قولها: ((لا تنزلوا النساء الغرف، ولا تعلمونهن الكتابة، وعلموهن سورة النور والغزل))؛ وهو حديث اختلف في درجة صحته عند علماء الحديث؛ للتوسع ينظر باب تعليم المرأة الكتابة، رقم الحديث ١٧٨: الألباني محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، مكتبة المعارف، الرياض، ط٠١، ١٩٩٥، ج٠١، ص٣٤٦.

٢- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ١٠٥.

٣- الحديث مروي في صحيح البخاري؛ كتاب الأذان، باب انتظار الناس الإمام العالم حديث، رقم٨٦٩. للتوسع ينظر: البخاري الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط٠٢، ٢٠٠٢م، ص٢١١.

٤- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص٣٤

٥- روي هذا الحديث في موطأ مالك كتاب الحدود، باب الحد في القذف والنفي والتعريض الحديث رقم١٩. للتوسع ينظر: الإمام مالك بن أنس (ت١٧٩هـ)، الموطأ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٠١، ١٩٨٥، ج٠١، ص٨٣٠.

كعب، والحسن بن علي، ومالك بن أنس... وذكر المفسر-إلى جانب كلام الصحابةﷺ- أقوالا عامة مأثورة في الحياة الاجتماعية؛ وهي أمثال مشهورة وبسيطة تتساوق مع الخطاب التفسيري في المساجد؛ حيث يحضر الخاصة من أهل العلم والعامة من الناس. من نحو: إيراده للأمثال الآتية: «كل إناء بما فيه يرشح»، و«إن الطيور على أمثالها تقع»، و«الوقاية خير من العلاج»[١] في سياق التمثيل على وقاية المجتمع من الآفات غير الأخلاقية.

وليس يفوتنا في هذا المقام ذكر ما لأقوال العلماء والمفسرين، من أثر في تفسير الشيخ كعباش لسورة النور؛ لا سيما ما تعلق بإيراد آراء المفسرين القدامى والمحدثين وآرائهم ممن فسروا سورة النور أو استوقفتهم بعض أبعادها. وقد وجدناه مثلاً يستأنس في أكثر من موضع بمقولات المودودي وآرائه في تفسيره لهذه السورة[٢]؛ من نحو: استشهاده في مقدمة كتابه بمقولة للمودودي تدل على أهمية هذه السورة الكريمة، وما اشتملت عليه من تعاليم وأحكام سامية في الحياة الخلقية والاجتماعية للمسلمين[٣].

ونجده يسترسل في موضع بيان عقوبة الجلد والرجم للزاني واختلاف الفقهاء حولها بالاستشهاد بمقولة لسيد قطب في تفسيره: «في ظلال القرآن الكريم» حول الخلاف الفقهي في الجمع بين الجلد والرجم للمحصن[٤]. وهو لا يقف عند حدود الاستشهاد والأخذ بهذا التفسير أو ذاك؛ بل ربما مارس نقدها أو قارن بين الآراء المتباينة فيها، ووجدناه في غير موضع يأخذ برأي هذا المفسر أو ذاك، أو يميل إلى رأي الجمهور في هذه المسألة أو تلك.

١- ينظر في هذا الأمثال كتب الأمثال العربية القديمة والحديثة؛ ومن ذلك كتاب: طاهر الجزائري (ت١٩٢٠م)، أشهر الأمثال، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، ط٠١، ٢٠١٢.
٢- ينظر: محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، الصفحات؛ ٥٢، ٦١، ٩٥، ١٢٨، ١٣٣.
٣- المصدر نفسه، ص٠٩.
٤- المصدر نفسه، ص٢٣.

المبحث الخامس: أنواع الدلالة اللغوية في «شرح الصدور لتفسير سورة النور»

تنقسم الدلالة في الدرس اللساني المعاصر كما سبق القول؛ بحسب مستويات النظام اللغوي إلى أربعة أقسام؛ دلالة معجمية، ودلالة صوتية، ودلالة صرفية، ودلالة نحوية؛ وسأحاول في هذا المبحث - إن شاء الله- إبراز جوانب من تجلياتها في تفسير الشيخ كعباش من خلال تفسيره لسورة النور المعروف بـ «شرح الصدور لسورة النور».

١- الدلالة المعجمية

هي الدلالة الأولى التي تنصرف إليها الأذهان حينما نريد تعرُّف معنى كلمة ما، هذه الكلمة نجدها في معاجم اللغة وقواميسها الاصطلاحية، وهي دلالة وضعية؛ أي وضعها المجتمع، وارتضاها مقابلاً لألفاظ بعينها[١]؛ ولعل أهم ما يميز هذا النوع من الدلالة أنها متغيرة، وليست قارةً بل متجددة؛ تحكمها سنن التطور والتجدد في الحياة. يبدو هذا النوع من الدلالة اللغوية المهيمن في تفسير الشيخ كعباش في تفسيره لسورة النور؛ إذ لا تكاد تخلو آية من الآيات الأربع والستين (٦٤) من سورة النور منها؛ وهذا التركيز من المفسر على هذا النوع من الدلالة اللغوية؛ لأنها تحقق مقاصده في التفسير، وهو التيسير والتسهيل لألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه؛ حتى يفهم العامة من الناس الأحكام الشرعية المتضمنة في آيات السورة.

ويقوم تحديد الدلالة المعجمية لألفاظ القرآن الكريم عند الشيخ كعباش على مبدأين اثنين:

أ- المبدأ الأول: على بيان المعاني المتعددة التي يحيل عليه اللفظ؛ ويتدرج

١- ولذلك يسميها إبراهيم أنيس بالدلالة الاجتماعية، للتوسع ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط ٠٥، ١٩٨٤، ص٤٨.

في ذلك من المعنى الرئيس أو المركزي ثم ينتقل إلى المعنى الثانوي أو الهامشي؛ويؤدي السياق بنوعيه اللغوي أو المقامي التداولي في هذه الحالة دوره في ترجيح المعنى المراد. هذا ما لمسناه مثلا فيما جاء في الآية الأولى (٠١) من سورة النور في دلالة الفعل: ﴿أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ﴾[١] أسند الإنزال والفرض إلى الله تعالى ليدل ذلك على عظم شأنها (وَفَرَضْنَاهَا) بمعنى: أوحينا العمل بها على اعتبار ما ورد فيها من الأحكام، أو بمعنى: التعيين والتقدير كما ثبت ذلك في علم الله، وهذا المعنى لمجمل معانيها من أحكام وغيرها)[٢]. نلاحظ أن المفسر قد أورد الرأي المجمل في بيان دلالة الفعل، ولم يوسع في عرض كل الدلالات مثلما سلك بعض المفسرين، ثم إنه لم يكتف بالمعنى اللغوي الصِرف بل تدرج إلى المعنى المقصود؛ وهو المعنى الفقهي. ومن ذلك أيضا ما جاء في الآية (٠٤) في دلالة الاسم ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾: ورد الوصف في القرآن لمعنيين: الإحصان[٣] بالزواج الشرعي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[النساء: ٢٤] ؛أي الحرائر المتزوجات تحرم خطبتهن ونكاحهن، ويأتي الوصف بمعنى العفة والطهارة[٤] . يبدو لنا هنا أن المفسر قد تدرج في بيان الدلالة اللغوية من المعنى الأساس إلى المعنى

١- جاء في مختار الصحاح: الفَرْضُ: الحز في الشيء، والفرض أيضًا ما أوجبه الله تعالى، سمي بذلك: لأن له معالم وحدودًا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ١١٨] ؛ أي مقتطعًا محدودًا والتَّفْرِيض: التحزيز، وقرئ: ﴿سورة أنزلناها وفرضناها﴾ بالتشديد؛أيْ فصلناها. للتوسع ينظر: الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٠هـ)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، د.ط، ١٩٨٦، مادة (فرض)، ص٢٠٩.

٢- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص١٥.

٣- الإحصان عند الفقهاء: هو أن يكون الرجل عاقلا بالغا مسلما دخل بامرأة بالغة عاقلة حرة مسلمة بنكاح صحيح. للتوسع ينظر: التعريفات الفقهية، المفتي السيد محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٠١، ٢٠٠٣، ص١٩. وفي المعاجم اللغوية: أَحْصَنَ الرجلُ إذا تَزوجَ، فهو (مُحْصَنٌ)، بفتح الصاد، و(أَحْصَنَت) المرأةُ عَفَّتْ، وأَحْصَنَها زَوْجُها فهي (مُحْصَنَةٌ) و(مُحْصِنَةٌ).. للتوسع ينظر: الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٠هـ)، مختار الصحاح، مصدر سابق، مادة (حصن) ص٥٩.

٤- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص١٥.

الفرعي، أي ما ينتج عن هذا المعنى؛ فالإحصان الذي هو الزواج الشرعي الذي ضبطته الشريعة ثمرته في الواقع الاجتماعي العفة والطهارة.

وعلى هذا ينهض المعنى المعجمي للألفاظ المفسرة، وتتأسس الدلالة المعجمية في منهج المفسر؛ وهكذا تكون الدلالة اللغوية مفتاحًا للحكم الشرعي وبيانًا له. وورد في الآية(٢٢) في دلالة الفعل: (يَأْتَلِ): من الألية وهو اليمين،[١] وأكثر ما يستعمل في الحلف على الامتناع[٢]. وله وجه آخر في المعنى من قولك: ألوت في كذا أي قصرت[٣]، ونلحظ في بيان دلالة هذا الفعل أن المفسر قد جمع بين الدلالة اللغوية المحضة للفظ، ثم بيان الدلالة الوظيفية الشرعية التي ترتبط بأسباب نزول الآية؛ وفي ذلك انتقال من المعنى الخاص إلى المعنى العام.

الملاحظ في هذه الأمثلة وسواها... أن المفسر في المجمل لا يكتفي بإيراد المعنى الرئيس للفظ، بل يعضده بالمعنى الفرعي أو الثانوي أو الهامشي، وهنا نسجل ظاهرة دلالية معجمية مهمة؛ هي التمييز بين مراتب الألفاظ من حيث العموم والتخصيص.

ب- المبدأ الثاني: الاكتفاء بـ «المعنى الرئيس»أو «المركزي»؛ وهو المعنى المفرد والأساس للكلمة؛ في مثل ما نجده في الآية الأولى من سورة النور؛ ﴿سُورَةٌ

١- جاء في لسان العرب: والأَلِيَّة علي فعيلة والأَلِيَّا، كلُّه: اليمين، والجمع أَلايَا؛ قال الشاعر: قَليلُ الأَلايَا حافظٌ لِيَمينه، وإنْ سَبَقَتْ منه الأَلِيَّةِ بَرَّتِ، ورواه ابن خالويه: قليل الإلاء، يريد الإيلاءَ فحذَف الياء، والفعلَ آلَى يُؤْلي إيلاءً: حَلَفَ، وتألَّى يَتألَّى تأَلِّياً وأْتَلى يَأْتَلي ائتلاءً. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ [النور: ٢٢] . للتوسع ينظر: ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١هـ)، لسان العرب، مصدر سابق، مادة (ألا).

٢- نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ حين حلف أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجر بدري؛ لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه، وناس من الصحابة أقسموا ألا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك؛ وللتوسع في القصة كاملة ينظر: الإمام البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، كتاب التفسير، الباب ١١، رقم الحديث٤٧٥٧، ص١١٩١.

٣- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص٦٣.

أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ في بيان معنى ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾[1]؛ أي واضحات المعنى؛ لتكون مبعث التَّذكرِ والعظة[2].

ومن ذلك ما جاء في الآية الثانية(٠٢) في دلالة الفعل ﴿فَٱجْلِدُواْ﴾: الضرب بالسوط على الجِلدِ، أي البشرة،[3] كما يقال: بَطَنَهُ وَجَهَهُ ورَأَسَهُ، إذا ضَرَبَهُ في تلك الأعضاء[4].

ومن ذلك أيضًا ما جاء في الآية السابعة(٧) في بيانه للاسم ﴿لَعْنَتَ﴾؛ واللَّعْنُ: الإبعاد من رحمة الله على وجه التحقير[5]. وقد عرض الشيخ كعباش في تفسيره لظواهر دلالية معجمية متعددة كانت من صميم الدرس اللغوي العربي قديمًا وحديثًا؛ من نحو:

١- المشترك اللفظي: (Homonyme)[6] وهو كل كلمة لها عدة معانٍ حقيقية غير مجازية، ويمكن عده من جماليات اللغة العربية، بما يضفيه

١- بَانَ الشيءُّ يَبِينُ بَيانًا: اتّضَحَ فهو بَيِّنٌ، وَكذا أَبَانَ الشيءُ فهو مُبِينٌ، وأَبَنْتُهُ أَنَا أَيْ أَوْضَحْتُهُ. للتوسع ينظر: الرازي محمَد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت٦٦٠هـ)، مختَار الصحاح، مصدر سابق، مادة (بين) ص٢٩.

٢- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص١٦.

٣- جلَدهُ: ضرب جلدَهُ، نحو: بَطنه وظَهرَهُ، أو ضَربهُ بالجلد، نحو: عَصاهُ إذَا ضَربهُ بالعَصا، وقال تعالى:) فَاجْلدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ([النور: ٠٤] . للتوسع ينظر: الراغب الأصفهانَي(ت٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، مصدرَ سابق، باب حرف الجيم، ص١٩٩.

٤- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص١٦

٥- لَعَنَهُ، كمَنَعَهُ: طَرَدَهُ، وأبْعَدَهُ، فهو لعينٌ ومَلْعونٌ، ج: مَلاعينُ، والاسمُ: اللَّعانُ واللَّعانيَةُ واللَّعْنَةُ، مَفْتوحات. واللُّعْنَةُ، بالضم: من يَلْعَنُهُ الناسُ. لُعَنَةُ: الكثيرُ اللَّعْنِ لَهُمْ، ج: لُعَنٌ، وامْرَأَةٌ لَعِينٌ، فإذا لم تُذْكَرِ المَوْصوفَةُ، لَعينَةُ.. لَّعينُ: من يَلْعَنُهُ كُلُّ أحد، والمُخْزَى المُهْلَكُ. تَّلاعُنُ: التَّشاتُمُ، والتَّمَاجُنُ. الْتَعَنَ: أنْصَفَ في الدعاء على نفسه. مَلاعِنُ: مَواضعُ التَّبَرُّز. لاعَنَ امْرَأَتَهُ مُلاعَنَةً ولعاناً وتَلاَعَنا، والْتَعَنا: لَعَنَ بَعْضٌ بَعْضاً. تَّلْعينُ: التَّعْذيبُ. للتوسع ينظرَ: الفيروز آبادي، القاموس المحَيط، مصدر سابق، مادة (لعن)، ص١٢٣١. وموضَع الاستشهاد به في: محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص٣٩. وتحقير اللَّعْنُ يبدو أن المفسر حمله على المعاني اللغوية السابقة.

٦- جاء في تعريف المشترك اللفظي: اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين، فأكثر دلالة على السواء عند أهل اللغة): السيوطي جلال الدين (ت٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د. ط، ١٩٨٦، ص ٣٦٩.

على بناء العبارات وتركيبها؛ وهو ما نجده في مثل الآية (٣١) من سورة النور في توضيحه لدلالة ﴿لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ جمع بَعل؛ وهو الزّوجُ، وأصله الرَّبُّ والمالك. ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ [الصافات: ١٢٥] (١).

ومن ذلك أيضا لفظ ﴿وَالْقَوَاعِدُ﴾ [النور: ٦٠]: الْقَوَاعِدُ: جمع قاعد؛ أي النساء اللائي قعدن عن الحيض والإنجاب(٢). فلفظ القواعد من المشترك اللفظي الذي يحمل أكثر من معنى؛من نحو: قواعد البناء: أَسسُهُ؛ في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]؛ وقوَاعدُ الهَودَجِ خشباتُهُ الجَاريَةُ مجرى قواعد البناء(٣).

وتطلق لفظة القواعد على سوى ذلك؛ فقد يُراد به سنن اللغة ونظامها، وقد نعني بها قوانين السلامة وضوابط السلوك الاجتماعي.

ومن ذلك لفظ ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ﴾ [النور: ٦٣]: فلدُعَاءِ الرَّسُولِ ثلاثة احتمالات:

أ- هو من الدعوة لأمر مهم؛ فدعاؤه ليس كدعوة أحدكم، فليس لكم الخيار في استجابة دعوته.

ب- الدعاء بمعنى النداء؛ أي لا تنادوه باسمه كما ينادي بعضكم بعضًا.

ج- دعاؤه بمعنى طلبه من الله؛ بمعنى احذروا دعاءه عليكم لأن دعوته مستجابة(٤).

١- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص٩١.
٢- المصدر نفسه، ص١٨٢.
٣- ينظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ص٦٧٩.
٤- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص١٩٤.

ومن ذلك لفظة (الدِّينُ)[١] من الآية(٢٥) من السورة؛ إنما جاء بمعنى الجزاء، وربما ورد في غير هذا السياق بمعنى الطاعة أو الانقياد للشريعة؛ في مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران: ١٩] ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ ﴾ [النساء: ١٢٥] .ومن ذلك لفظة﴿ءَايَٰتٖ﴾ من الآية(٤٦) من السورة: تستعمل الآية في القرآن الكريم، ويقصد بها علامات قدرة الله على صفحة الكون مما خلقه وأبدع صنعه، فهي آيات صامتة، ويقصد بها آيات الوحي المنزل من القرآن الكريم؛ وهي الآيات الناطقة؛ وهي المقصود في هذه الآية[٢].

٢- الترادف: (Synonyme)[٣] هو من جوانب ثراء اللغة العربية واتساعها[٤]؛ وهو من عناصر الدلالة المعجمية التي أشار إليها الشيخ كعباش بالمثال في سياق تفسيره للآية (٢٧) من السورةالنور في دلالة الفعل﴿تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ إذ قال: استئناس جعله بعض العلماء مرادفًا لمعنى الاستئذان بينما يراه آخرون أعم وأشمل[٥]. ومن وجوه البيان القرآني هنا الاستئناس أو الاستئذان، وهو

١- الدِّيْنُ: الجَزاءُ، وقد دنْتُه، دَيْناً، ودِيْناً، والإِسْلامُ، وقد دنْتُبه، والعادةُ، والعبادةُ، والمُوَاظبُ من الأَمْطَارِ، أو اللَّيِّنُ منها، والطاعَة، كالدِّيْنَة، والذُّلّ، والداءُ، والحسابُ، والقَهْرُ، والغَلَبَةُ، والسَلطانُ، والمُلْكُ، والحُكْمُ، والسِّيرَةُ، والتَّدْبيرُ، والتَّوحيدُ، واسْمُ جميعِ ما يُتَعَبَّدُ الله عَزَّ وجلَّ به، والمِلَّةُ، والوَرَعُ، والمَعْصيَةُ، والإكْرَاهُ، دِّيْنُ من الأمْطار: ما يُعاهدُ مَوْضعاً، فصارَ ذلك له عادةً، والحالُ، والقضاءُ. دنْتُه أدينُه: خَدَمْتُهُ، وأحْسَنْتُ إليه، ومَلَكْتُه، وأقْرَضْتُه واقْتَرَضْتُ منه. دَيَّانُ: القَهَّارُ، والقاضي، والحاكِمُ، والسائسُ، والحاسبُ، والمُجازي الذي لا يُضَيِّعُ عَمَلاً، بل يَجْزي بالخَيْرِ والشَّرِّ. مَدينُ: العَبْدُ، مَدِينَةُ: الأَمَةُ، لأنَّ العَمَلَ أذَلَّهُما، ، ، . للتوسع ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مصدر سابق، مادة (دين)، ص١١٩٨.

٢- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص١٥٥.

٣- جاء في تعريف الترادف: في اللغة هو ما اختلف لفظه واتفق معناه؛ أو هو إطلاق عدة كلمات على مدلول واحد؛ كالأسد والسبع والليث وأسامة و... والتي تسمى مسمى واحدا) للتوسع ينظر: السيوطي جلال الدين (ت٩١١هــ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مصدر سابق، ص٤٠٧.

٤- اختلف علماء العربية بين مثبت ومنكر لهذه الظاهرة في اللغة؛ وينسحب الأمر على الأصوليين والفقهاء حول وجود الترادف في القرآن الكريم. للتوسع ينظر: محمد نور الدين المنجد، الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط٠١، ١٩٩٧، ص١٠٩.

٥- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص٧٦.

فعل يسبق فعل التسليم الوارد في هذه الآية. وإلى جانب المشترك اللفظي والترادف يجد الدارس أن المفسر عرض في تفسيره لظواهر معجمية أصيلة أخرى؛ مما وقف عليه في ألفاظ السورة وتراكيبها.

٢- الدلالة الصوتية

تعرف هذه الدلالة اللغوية من طبيعة الأصوات واستبدالها، ومن الملامح الصوتية التطريزية المرتبطة بالأداء مثل (النبر، والمقطع، والتنغيم، والوقف...)[1]، وتبدو الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم جلية من خلال إيقاع نظامه الصوتي وموسيقاه البارزة في نسيج حركاته وأصواته وفواصله؛ ولا يخفى على أحد ما يتركه هذا الجانب من النظام اللغوي من أثر كبير في النفس البشرية، وما يولده من أحاسيس حين القراءة والتلاوة والسماع. وتظهر أكثر وضوحًا في القراءات القرآنية التي حملت تلوينات صوتية متنوعة؛ تعكس في جوهرها القصد الرباني في التيسير والتسهيل على عباده في فهم كتابه والأخذ بأحكامه.

وقد حمل تفسير الشيخ كعباش إشارات صوتية بليغة؛ تظهر مكانة التشكيل الصوتي في البناء اللغوي للنص القرآني. فعلى صعيد الحركات الصوتية بيَّنَما تضطلع به من دور تمييزي في تغيير دلالة الألفاظ بين الجمع والإفراد، والقلة والكثرة وسواهما من المعاني؛ ومن ذلك ما جاء في تحقيقه اللغوي في الآية(٢١) من السورة في بيان لفظة﴿ خُطُوَٰتِ ﴾. جمع خطوة، وهو ما بين القدمين؛ من خطا يخطو خطوا، والواحدة منها خَطوة- بفتح الخاء-، وأما الجمع فيجيء بفتح الخاء وضمها وسكون الطاء وضمها، والمراد بها هنا السيرة والطريقة[2]. فقد تتبع الشيخ التحول الصوتي للحركات ما بين الإفراد والجمع، وكذا الاختيار ما بين الحركات

١- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المكتبة الأنجلو مصرية، ط٠٥، ١٩٧٥، القاهرة، مصر، ص ١٥٥.

٢- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص٦٢.

وهو ما يمكن إرجاعه إلى طبيعة الاستعمال اللهجي في العربية.

ومن ملاحظاته في بيان الدور الذي تضطلع به الأصوات في تحول دلالة اللفظ؛ في الآية (٣٢) من سورة النور؛ وقوفه عند الفعل ﴿وَأَنكِحُواْ﴾: أي زوِّجُوا، مزيد بالهمزة وبدونها يكون بمعنى "تزوّج" ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّۚ﴾ [البقرة: ٢٢١] ؛ وماضيه: أنكح[١]؛ فهنا نجد ظاهرة صرفية صوتية أصلها زيادة الصوت ونقصانه.

ونجده في بيانه لدلالة اللفظ ﴿لُّجِّيّٖ﴾[٢] في الآية(٤٠) من سورة النور يقول: «لُجِّيٍّ» نسبة إلى اللُّجَّة -بضم اللام- وهي معظم الماء وبالفتحة: اللَّجَّةُ؛ الصخب في أصوات الناس. ويقال التجَّ الأمرُ إذا عظم واختلط، والجمع لُجَج[٣].

نستنتج من خلال هذين القولين ما تؤديه الحركات الصوتية القصيرة من فتح وضم وكسر في تغيير دلالة الألفاظ وتوجيه معناها. وتشترك الحركات الطويلة في أداء الوظيفة نفسها في تشكيل النص القرآني؛ ومن ذلك ما أشار إليه المفسر في سياق تفسيره للآية(٣٣) في بيان دلالة اللفظ ﴿ٱلْبِغَآءِ﴾. مصدر من بَاغت الجارية إذا تعاطت الزنا بالأجر واتخذته حرفة. الوصف منه «بَغِيٌّ» يجمع على بَغَايَا، ولا يقال: بَغَتْ؛ لأن ذلك من البَغْيُ [الظُّلم][٤].

نلاحظ من خلال هذا التحقيق اللغوي للمفسر أن الحركات الطويلة أدت وظيفتها التمييزية في التفريق بين معنيين مختلفين وهما البغاء والبغي(الظلم)؛ وذلك بالنظر إلى المكون الصوتي لفعليهما؛ وهو وجود الحركة الطويلة في وسط

١- نفسه، ص١٠٥.
٢- لُجٌّ: الجماعةُ الكثيرةُ، ومُعْظَمُ الماء، كاللُّجَّة، فيهما، ومنه: بَحْرٌ لُجِّيٌّ، والسيفُ، وجانبُ الوادي، والمَكانُ الحزْنُ من الجبَل، ولَجَّةُ: الأَصْواتُ، والجَلَبَةُ. والْتَجَّت الأَصْواتُ: اخْتَلَطَتْ، ، . للتوسع ينظَر: الفيروز آبادي، القاموسَ المحيط، مصدر سابق، مادة (لَجاجَ)، ص٢٠٣.
٣- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق ص١٣٦.
٤- المصدر نفسه، ص١١٤.

الفعل (باغت، وبغت). ومن ذلك ما أشار إليه من تحول في الحركة الصوتية الطويلة في آخر الفعل ﴿زَكَىٰ﴾ في الآية(٢١) من السورة: زكا يزكو: صلُح، يقال زكا الزّرع إذا صلُح ونما[١].

ومن الظواهر الصوتية المميزة في بعض القراءات القرآنية: التسهيل؛أي التخفيف في نطق الهمزة تجنبًا لثقلها، وميلاً إلى تقليل الجهد العضلي في النطق. وهو ما أشار إليه المفسر في سياق تفسيره للآية(٠٢) من السورة. يقول: (ويقال: الزناء[٢] من فعل زاني بصيغة المفاعلة، ويخفف همزة فيكون مقصورًا. الزنا: وهو كل اتصال غير شرعي بين رجل وامرأة، فإن تم ذلك بعوض فهو البغاء)[٣].

وهو ما نجده أيضًا في بيانه لدلالة ﴿سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ من الآية(٤٣) من السورة؛ بقوله: السّنَا[٤]- بالقصر- ضوء البرق؛ وبريق النّار، والسناء- بالمد- الشرف والرفعة[٥].

ومن ذلك ما نجده في الآية ٣٩ من سورة النور في بيان دلالة لفظة ﴿ٱلظَّمْـَٔانُ﴾: العطشان، يجمع ظِماءٌ وعِطاشٌ، وقد تخفف همزته فيقال: الظَّمْأنُ[٦].

وربما أشار الشيخ المفسر-من غير تصريح- إلى نوع من المماثلة الصوتية[٧] البارزة في بعض الأصوات، كما هوالحال في الآية ٣٠ من سورة النور؛ فالفعل ﴿يَغُضُّواْ﴾: من مادة الغضّ؛ أي النقص أو الحفظ ومنه قوله تعالى:﴿ وَٱقْصِدْ فِى

١- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق ص٦٢.
٢- ينظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ص٣٨٤.
٣- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص١٧.
٤- السّنَا في اللغة: السَنَى: ضَوْءُ البَرْق، ونَبْتٌ مُسْهِلٌ للصَّفْراء والسَّوْداء والبَلْغَم، ويُمَدُّ، وضَرْبٌ من الحرير، وواد بنَجد. سَنَاءُ: الرِفْعَةُ .أَسْناهُ: رَفَعَهُ، َ ، . للتوسع ينظر: الفَيروزبادي، القاموس المحيط، مصدرَ سابقٍ، مادة (سنى)، ص١٢٩٦.
٥- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص١٤٤.
٦- المصدر نفسه، ص١٣٦.
٧- ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص١٧٩.

مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٩] . وغضّ بصره بمعنى صرفه عن التحديق في شخص أو تثبيت النظر إلى شيء ما، ويكون ذلك إما حياء أو احتشامًا أو خوفًا أو مذلةً[١]؛ فحرفا الضاد جاءا مدغمين في سورة النور؛وفي الشاهد فك إدغامهما. كما في الآية(٣١) من سورة النور في قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾.

٣- الدلالة الصرفية

تستمد هذه الدلالة من الصيغ الصرفية وأبنيتها؛ كالمشتقات، وأبنية المصادر وصيغ الجموع والتثنية والإفراد في الأسماء، والزيادة في الأفعال؛ وما يلحقها من صور الإعلال والقلب والإبدال. فكل تغير في بنية الكلمات سواء بالزيادة أو النقصان يؤدي بالضرورة إلى التغير في دلالاتها؛وقد شاعت في الدرس اللغوي عبارة جامعة واصفة لهذه الظاهرة؛ ((كل زيادة في المبنى زيادة في المعنى))؛ ويوضح ذلك ابن جني(ت٣٩٢هـ) عندما يجعل: (الأصوات تابعة للمعاني، فمتى قويت قويت، ومتى ضعفت ضعفت، ويكفيك من ذلك قولهم: قَطَعَ وقَطَّعَ، وكَسَرَ وكَسَّرَ، زادوا في الصوت لزيادة المعنى واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه)[٢]. وقد أخذ هذا النوع من الدلالة عند الشيخ كعباش حيزًا معتبرًا من تحقيقاته اللغوية في تفسيره لسورة النور؛ ففي سياق بيانه لدلالة الألفاظ في السورة؛ تتبع أبنية الألفاظ وأوجه اشتقاقها الصرفي، والمقارنة بين صيغها الاسمية والفعلية؛ وإخضاعها للميزان الصرفي.

عرض المفسر لأبنية المشتقات في نحو؛ ما نجده في تفسيره للآية الثانية (٠٢)

١- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص٨٦.

٢- ابن جني أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح، علي ناصف النجدي، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف، القاهرة، مصر، ١٩٩٤، ج٢، ص٤٥.

من السورة بقوله: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي ﴾: اسم فاعل من فعل زنى يزني. وفي سياق بيانه لدلالة لفظة (لي) في الآية(١١) من السورة يعرض لصيغة اسم الفاعل وصيغة المبالغة (الْإِفْك): من أفك يأفك فهو آفك(اسم فاعل على وزن فَاعِل) وأفّاك(صيغة مبالغة على وزن فَعّال): الكذب الصراح[١]. وفي بيانه لدلالة لفظة ﴿ٱلْكِتَٰبَ ﴾ في الآية(٣٣) من السورة: الكتاب: والمكاتبة[٢] مصدر كاتب[٣]؛ مفاعلة بين اثنين يكتب بينهما صكّ اتفاقية على أمر ما، والمكاتبة في المصطلح الشرعي: أن يكاتب السيد عبده على مال يؤديه مقسّطًا عليه لآجال يتفقان عليها[٤].

ووقف المفسر عند دلالات صيغ الجموع والإفراد في الأسماء؛ مثل لفظة ﴿طَآئِفَةٌ ﴾؛- واللفظة في أصل بنيتها اسم مشتق من فعل طَافَ-في الآية (٠٢) من السورة؛ الطائفة: جماعة من الاثنين فصاعدًا، ولا يقال للواحد طائفة[٥]. وفي لفظة ﴿عُصْبَةٌ ﴾ في الآية(١١)؛ العُصْبَةُ[٦]، والعِصَابة: الجماعة تكون من العشرة إلى الأربعين.

ومن ذلك ما جاء في بيان دلالة لفظة ﴿ بِقِيعَةٍ ﴾[٧] في الآية (٣٩)؛ ما انبسط

١- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص٤٥.
٢- من ألفاظ الأحكام الدالة على مسألة شرعية هي «مسألة المكاتبة» التي اختلف فيه العلماء في حكمها الشرعي؛ للتوسع ينظر: ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله المالكي (ت٥٤٣هـ)، أحكام القرآن، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط٠٣، ٢٠٠٣، بيروت، لبنان، ج٠٣، ص٣٩٧.
٣- فَاعَلَ: فعل ثلاثي مزيد بألف؛ وتزاد ألفه لثلاثة معان وهي: المفاعلة، والتكثير، والمولاة. للتوسع حول دلالة هذه الصيغة ينظر: الاسترباذي رضي الدينً محمد بن الحسن (ت٦٨٦هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٠١، ١٩٨٢، ج٠١، ص٩٦. و سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت١٨٠هـ)، الكتاب، مصدر سابق، ج٠٤، ص٦٨.
٤- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص١١٤.
٥- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص ١٧، ص ٤٥.
٦- العُصْبَةُ (بالضم)، من الرِّجال والخَيْل والطَّيْر: ما بَيْنَ العَشرة إلى الأَرْبعين، كالعصابَة (بالكسر)؛ واعتَصَبوا: صاروا عُصْبَةً. للتوسع ينظَر: الفيروَز آبادي(ت٨١٧هـ)، القاموس المحيطَ، مادَة(عَصَب)، ص١١٥.
٧- قَوْعُ: المِسْطَحُ يُلْقَى فيه التَّمْرُ أو البُرّ، ج: أقواعٌ. قاعُ: أرضٌ سَهْلَةٌ مُطْمَئِنَّةٌ، قد انْفَرَجَتْ عنها الجبالُ والآكامُ، ج: قيعٌ وقيعَةٌ وقيعانٌ وأَقْواعٌ وأَقْوُعٌ. للتوسع ينظر: الفيروز آبادي(ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، مادة (قوع)، ص٧٥٧.

من الأرض واتسع ولم يكن فيه نبت؛ قيل: هي جمع قاع كحبيرة جمع حبار، وقيل: هو مفرد غلب لفظ الجمع فيه؛ ويقال في الجمع: أَقْوع وأقواعٌ وقيعان.

وفي نحو بيانه لدلالة اللفظ ﴿وَٱلۡأٓصَالِ﴾ في الآية (٣٦) الْآَصَالِ: مفرده أصيلٌ؛ آخر النهار؛ ويقال: الغدو والرواح. عبّر العرب به عن خروج الرعاة بأغنامهم في الصباح ورجوعهم بها في المساء؛ ثم استعمل لكل خروج في ذينك الوقتين.

وفي بيان لدلالة لفظ (مم نجـ) في الآية (٤٣)؛ خِلال: جمع خَلَلُ[1]؛ وهي الفرج ومخارج القطر منه، فالسحب شبيه بالغربال لتوزيع قطرات الماء حتى لا تفسد ما في الأرض[2].

وصيغ الأفعال بأنواعها تدل على الحدث وزمانه، وما يتصل بهذه الأفعال من حروف الزيادة، والتوكيد، واللواحق وما يدخلها من التضعيف وغيره. كل ذلك له أثره في توجيه المعنى[3]؛ فممّا يؤثر في دلالة أبنية الأفعال الصرفية ما يلحقها من حروف الزيادة التي إذا أُضيف بعضها إلى بنية الفعل لتُخرجه إلى عدة دلالات حسب حروف الزيادة، ومن ذلك ما أشار إليه الشيخ كعباش في سياق بيان دلالة الفعل الأمر ﴿وَأَنكِحُواْ﴾ من [النور: ٣٢] : أي زوجوا، مزيد بالهمزة وبدونها يكون بمعنى "تزوّج" في مثل قوله تعالى في سورة البقرة ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ﴾ [البقرة: ٢٢١] [4]. وفي بيان دلالة الفعل المضارع المجزوم ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ﴾[5] في

١- خَلَلُ: مُنْفَرَجُ ما بين الشَّيْئَيْن، خَلَلُ من السَّحاب: مَخارِجُ الماء، كخلاله..هو خلَلُهُم وخلالُهُم وخَلالُهُم: بينهمْ. للتوسع ينظر: الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، مادّة (خللَ)، ص٩٩٤.

٢- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص١١٤.

٣- عبد الغفار حامد هلال، علم الدلالة اللغوية، مرجع سابق، ص٣٢.

٤- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ١٠٥.

٥- والفعل استعف على وزن استفعل؛ وأشهر معانيه: الطلب والسؤال صريحا أو تقدير، وللتحول، وللاعتقاد، وللاتخاذ، وقد يجيء لمعان أخرى غير مضبوطة. للتوسع ينظر: الاستراباذي رضي الدين محمد بن الحسن (ت٦٨٦هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، مصدر سابق، ج٠١، ص ١١٠.

سورة النور الآية(٣٣)؛ طلب أن يكون عفيفًا.[١] وقيل: إن زيادة السين والتاء هنا للمبالغة لا للطلب، فيكون بمعنى عَفَّ يعِفُ[٢].

وفيما يخص الأسماء فقد حمل التفسير إشارة إلى أصل بعض الأبنية، ومن ذلك بيانه لدلالة للفظ «التحية» في قوله تعالى: ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١] ؛ في قوله: التحية أصلها من الحياة؛ لأن العرب قبل الإسلام يقولون: «حياك الله وبياك»، فجاء الإسلام فرفعها إلى طلب السلامة للمؤمن دنيا وأخرى[٣].

٤– الدلالة النحوية

وهي التي تختص بدلالات نظام الجمل وترتيبها، وما يلحقها من تغييرات في البناء والتركيب؛ كالحذف والتقدير، والتقديم والتأخير؛ وربما استعمل بعض الدارسين المعاصرين مصطلح «الدلالة التركيبية» لوصف هذه الدلالة؛ لا سيما إذا كان هناك ربط بين البنية والوظيفة. ولا يخفى (أن نظام الجملة العربية، أو هندستها يحتم ترتيبًا خاصًا لو اختل أصبح من العسير أن يفهم المراد منها)[٤].

استرعى هذا النوع من الدلالة اللغوية نظر الشيخ كعباش فنال قسطًا وافرًا ومهمًا من تفسيره للسورة، إذ خصّه بالدراسة والتحليل؛ وذلك من خلال تحديد مواقع الألفاظ ووظائفها النحوية، وترتيبها في الجمل، وفي كثير من ألفاظ القرآن الكريم ترتبط الوظائف النحوية بأوجه القراءات القرآنية؛ ومن ذلك ما عرض له

١– عَفَّ عنِ المَحارِمِ والأُطْماع الدَّنية يَعفُّ عفَّةً وعَفّاً وعَفافاً وعَفافة، فهو عَفيفٌ وعَفٌّ، أَي كَفَّ وتعفَّفَ واسْتَعْفَفَ وأَعَفَّه اللّه. وفي التنزَيل: ولْيَسْتَعْفف الذين لا يَجدون نكاحاً؛ فسَّره ثعلب فقال: لِيَضْبطْ نفسه بمثل الصوم فإنه وِجاء. وفي الحديث: مَن يَسْتَعْفف يُعفَّه اللّه. للتوسع ينظر: ابن منظور أبو الفضَل جمال الدين محمد بن مَكرم (٧١١هـ)، لسان العربَ، مصدَر سابق، مادة (عفف).

٢– محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص١٠٦

٣– المصدر نفسه، ص ١٨٦

٤– إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مرجع سابق، ص٤٨.

الشيخ كعباش في تفسيره للآية(٠٦) في قوله تعالى: ﴿أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ﴾ بقوله: قراءة نافع والجمهور[١] بالنصب على المفعول المطلق، وخبر ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾ محذوف مقدر هكذا: فشهادة أحدهم واجبة أو لازمة[٢].

كما عرض الشيخ لتراكيب الشرط وبيَّن التقدير في جوابها المحذوف-[٣] والتي تكررت في سورة النور أربع (٠٤) مرات في الآيات ١٠، ١٤، ٢٠، ٢١-؛ في مثل الآية(١٠) العاشرة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ وضح ذلك بقوله: جواب الشرط مقدر هكذا: لأصبحتم في عنت وحرج، ولانتقم بعضكم من بعض، وحذفه لقصد التهويل[٤].

وتكرار هذا التركيب اللغوي: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ له دلالاته الأخلاقية والاجتماعية، يقول المفسر: (هذا التذكير الإلهي بفضل الله ورحمته على المؤمنين في شأن تزكية النفس، وأنَّ ذلك يتم بفضل الله، لأنه تعالى لو كان يجازينا بالعدل والميزان لما أفلحنا في الحساب، فكم من الألطاف الإلهية في «حادثة الإفك» تحققت للمجتمع المسلم، وكم من خير عظيم لحقه منها وإن خفي على كثير من الناس)[٥].

كما بيَّن الشيخ كعباش أنماط الإسناد ودلالاته التركيبية[٦]، وما يلحق هذا الأنماط من تقديم وتأخير، أو حذف وتقدير.

١- وفي قراءة حفص عن عاصم بالرفع، وتعرب «أَرْبَعُ» في هذه الحالة خبر للمبتدأ «شَهَادَةُ». للتوسع ينظر: فتحي الطيب الخماسي، مصحف القراءات؛ لأشهر القراءات المتداولة في العالم الإسلامي، إشراف: علي أبو الخير، دار الخير، دمشق، سوريا، ط٠١، ٢٠٠٩، ص٣٥٠.

٢- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص٤٨.

٣- ينظر في أسلوب الشرط ومعاني أدواته: الاستراباذي رضي الدين محمد بن الحسن (ت٦٨٦هـ)، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تح: يحي بشير مصري، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية، ط٠١، ١٩٩٦، القسم٠٢، الجزء٠١، ص١٣٩٧.

٤- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص٣٩.

٥- المصدر نفسه، ص٦٥.

٦- ينظر في أنماط الإسناد ودلالاته: رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي(ت٦٨٦هـ)، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، مصدر سابق، القسم الأول ج٠١، ص١٦.

ومن ذلك ما ورد في دلالة الفعلين: ﴿ أَنزَلْنَهَا وَفَرَضْنَهَا ﴾[1] في الآية الأولى من السورة حيث: أسند الإنزال إلى الله تعالى، ليدل ذلك على عظم شأنها، و«فرضناها» بمعنى أوجبنا العمل بها على اعتبار ما ورد فيها من الأحكام أو بمعنى التعيين كما ثبت ذلك في علم الله[2].

وتحدث في السياق نفسه عن التناسب في تعاقب أنماط الجمل في السورة؛ ومن ذلك ما جاء في تفسيره للآية(٣٥) من السورة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ جملة معترضة بين الآية السابقة: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ﴾ [النور: ٣٤] ، والآية اللاحقة: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾، فقال معللاً ذلك: ومناسبة موقع جملة﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ ﴾ بعد جملة: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ﴾ إن الآيات القرآن نورًا، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٧٤] ... فكان قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ كلمة جامعة لمعانٍ جمّةٍ تتبع معاني النور في إطلاقه في الكلام)[3].

وحمل تفسير هذه السورة إشارات متفرقة لحروف المعاني، وما تضطلع به من وظائف نحوية ودلالية في سياقها التركيبي في غير موضع من السورة؛ ومن ذلك بيانه لوظيفة ألف التعريف ولامه «الـ»[4] في الاسمين: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي ﴾ [النور:

١- أَنْزَلْنَاهَا صفة لسورة؛ والنَّصبُ عَلى وَجْهَيْن، على معنى أَنزلنَا سُورَةً، كما تقول: زيداً ضربته، وعلى معنى اتلُ سُورةً أنزلناها. وَفَرَضْنَاهَا بتخفيف الراء، ويقرأ بالتشديد في الراء؛ فمن قرأ بالتخفيف فَمَعْنَاهُ: ألزمناكم العَمَل بما فُرِضَ فيها، ومن قرأ بالتَّشْديد فَعَلى وجهين؛ أحدهما على معنى التكثير؛ على معنى أنا فَرَضْنَا فيها فُرُوضاً كثيرةً، وعلى معنى بيَّنَّا وَفصَّلنَا ما فيها من الحلال والحرام. للتوسع ينظر: الزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السَّري(ت٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٠١، ١٩٨٨، ج٠٤ ص٢٧.

٢- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص١٤.

٣- المصدر نفسه، ص١٢٣.

٤- تدخل ألف التعريف ولامهُ عَلَى اسمين: متمكن وغير متمكن فالذي هو غير متمكن «الَّذي» و «الَّتي». والمتمكن قولنا: «رجل»، ثُمَّ يكون ذَلكَ للجنس والتعريف. للتوسع ينظر: ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنَنِ العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٠١، ١٩٩٧، ص٦٣.

٠٢] : دخلت «ال» الجنسية عليه، فهو يفيد تحقق الوصف في الموصوف لا غير؛ أي كل من اتصف بالزنا سيدًا كان أو عبدًا محصناً أو غير محصن[١].

وعرض لحرف «لولا» والمعاني النحوية السياقية له في سورة النور التي تكررت في السورة سبع (٠٧) مرات في الآيات ١٠، ١٢، ١٣، ١٤، ١٦، ٢٠، ٢١؛ فقد جاءت شرطية تفيد معنى الامتناع للوجود في أربعة مواضع سبقت الإشارة إليها، كما جاءت بمعنى التحضيض بالأداة «لولا» التي بمعنى «هلا» في نحو الآيتين (١٢) و(١٦) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ﴾، هذا التركيب اللغوي تكرر مرتين ليحمل معنى التوبيخ والتقريع[٢] المصدر بـ «لولا»، وقد جاء في الآية(١٣) بصيغة: ﴿ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ ﴾ للمعنى نفسه، وهو التوبيخ، ليذكر بما شرعه الله لهم في القذف ووجوب الاستناد في ذلك إلى أربعة شهود، وقد أعقب هذا التوبيخ بأسلوب لغوي بلاغي وهو الحصر[٣] ﴿ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾ للمبالغة في تصوير شناعة موقف الإفك، وقد ورد التحضيض بالحرف بـ «ألا» في الآية(٢٢)وهو قوله تعالى: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ ﴾. للدعوة إلى السعي في أعمال البر[٤]. وهذا التلاحم بين الأساليب النحوية والبلاغية في كشف الدلالات اللغوية يعد الطريق الأمثل لإيضاح البيان القرآني وأوجه إعجازه؛ ويؤكد ذلك الترابط الشديد بين علم النحو وعلم المعاني والبلاغة بشكل عام في قراءة النصوص وفهمها؛ وهو ما

١- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص١٧.

٢- جاء في شرح الرضي لكافية ابن الحاجب عن حروف التحضيض: اعلم أنَّ معناها إذا دخلت في الماضي: التوبيخ واللَّوْمُ عَلى تَرْك الفعل. ومعناها في المضارع الحَضُّ على الفعل والطلب له، فهي في المضارع بمعنى الأمر. للتوسع ينَظر: الاستراباذي رضي الدين محمد بن الحسَن (ت٦٨٦هـ)، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، مصدر سابق، القسم٠٢، الجزء٠١، ص١٣٨٦.

٣- الحصر في هذه الآية تحقق بضمير الفصل «هم»، وقد ذكر العلماء له ثلاث فوائد: تأكيد المسند إليه، والاختصاص، وبيان أن المسند خبر لا صفة، يعنون أنه يفيد التأكيد إذا لم يفد الاختصاص. فإن أفيد القصر بطريق آخر كأن يكون الخبر معرفًا «بأل» دل ضمير الفصل على تأكيد الحصر، سواء كان من قصر المسند على المسند إليه أو العكس. للتوسع ينظر: صباح عبيد دراز، أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط٠١، ١٩٨٦، ص١٣٥.

٤- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، مصدر سابق، ص٥٤، ٦٣.

أحسب أنه يحتاج إلى دراسة مفردة مستفيضة في هذا التفسير.

وعطفا على ما سلف في بيان أسس منهج العلامة «محمد بن إبراهيم سعيد كعباش»؛ يمكن القول إن هذا النص التفسيري لسورة النور قد مال به صاحبه إلى منحى الاتجاه التفسيري اللغوي راغبًا من توظيف اللغة مسلكًا أمينًا لإِصَابَةِ الْحَقِّ في تفسير الْقُرْآنِ وتأويله، وربما ذلك ما عناه قديمًا الطبري(ت٣١٠هـ) بقوله في أَحق المفسرين بإصابة الحق: (مَا كَانَ عِلْمُهُ عِنْدَ أَهْلِ اللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ، وَذَلِكَ عِلْمُ تَأْوِيلِ غَرِيبِهِ وَإِعْرَابِهِ، لا يُوَصلُ إِلَى عِلْمِ ذَلِكَ إِلا مِنْ قِبَلِهِمْ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَأَحَقُّ الْمُفَسِّرِينَ بِإِصَابَةِ الْحَقِّ فِي تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ الَّذِي إِلَى عِلْمِ تَأْوِيلِهِ لِلْعِبَادِ السَّبِيلُ، ، ، وَأَوْضَحُهُمْ بُرْهَانًا فِيمَا تُرْجَمَ وَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا كَانَ مُدْرِكًا عِلْمَهُ مِنْ جِهَةِ اللِّسَانِ، إِمَّا بِالشَّوَاهِدِ مِنْ أَشْعَارِهِمُ السَّائِرَةِ، وَإِمَّا مِنْ مَنْطِقِهِمْ وَلُغَاتِهِمُ الْمُسْتَفِيضَةِ الْمَعْرُوفَةِ، كَائِنًا مَنْ كَانَ ذَلِكَ الْمُتَأَوِّلُ وَالْمُفَسِّرُ، ، ،)[1].

وعلى هذا النهج جعل الشيخ كعباش من التحليل اللغوي لأبنية الألفاظ القرآنية وأصواتها وتراكيبها مجالًا رحبًا لتفسيره السهل والمبسط لمعاني القرآن الكريم؛ حتى يفهم خطابه العامة والخاصة من الناس؛ مستفيدًا من رحابة اللغة العربية واتساعها، وما ألهمته التفاسير القديمة والحديثة من آليات النظر المعرفي في أبنية ألفاظ القرآن الكريم وإعرابها، وإن كنت قصرت كلامي على مقولات المفسر فإظهارا لجهده التفسيري وإبرازًا لآرائه؛ إلا أنه يجب التأكيد أن صرح نصه التفسيري ينهض على تفاسير عدة؛ أمدته القدرة على المراجعة والمقابلة بين المعاني الطافحة بها والترجيح بينها، واكتفى في بعض الأحيان في الاستشهاد بها بما تضمنته من دلالات لغوية، يسرت له التعبير عن مقاصده التفسيرية، ومن أشهر هذه التفاسير التي تردد ذكرها:

١- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠١، ج١، ص٨٨.

- جامع البيان عن تأويل أيِّ القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ).
- وتفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)[١].
- والتفسير الكبير للإمام محمد الرازي فخر الدين (ت٦٠٤هـ)[٢].
- وتفسير القرآن العظيم لابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ).
- تفسير التحرير والتنوير للمفسر محمد الطاهر بن عاشور (ت١٩٧٣م).
- وفي رحاب القرآن الكريم للمفسر إبراهيم بن عمر بيوض(ت١٩٨١م)[٣].

وغيرهم من المفسرين قدامى ومحدثين ممن برعوا في تفاسيرهم في عرض جوانب الدلالة اللغوية في القرآن الكريم.

هذه بعض الجوانب الدلالية اللغوية التي طفح بها نص تفسير الشيخ كعباش؛ والتي أحسب أنها تسهم في الاقتراب من النص القرآني وإدراك معانيه؛ وليس يخلو هذا النمط من الأبحاث من أهمية في فهم كتاب الله ووجوه إعجازه الخالدة؛ (فعلى قدر وُضوح الدَّلالة وصواب الإِشارة، وحسن الاختصار، ودقة المَدْخَل، يَكون إظهارُ المَعنى. وكلّما كانت الدَّلالةَ أوضَحَ وأفْصحَ، وكانت الإِشارَةُ أبيَنَ وأنْورَ، كانَ أنفَعَ وأنجعَ. والدَّلالةُ الظاهرةُ عَلى المَعنى الخَفي هو البيانُ الذي

١- ينظر: الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي(ت٥٣٨هـ)، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٠٣، ٢٠٠٣.

٢- ينظر: الرازي الإمام محمد فخر الدين(ت٦٠٤هـ)، التفسير الكبير، بيروت، لبنان، ط٠١، ١٩٨١.

٣- ينظر: إبراهيم بن عمر بيوض(ت١٩٨١م)، في رحاب القرآن الكريم، تح: الشيخ الناصر بن محمد المرموري، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط٠١، ٢٠٠٠.

سَمِعْتَ الله عز وجل يمدحُهُ. ويَدعو إليه ويحثُّ عليه. بذلك نَطَقَ القرآنُ، وبذلك تفاخَرَتْ العربُ، وتفاضلتْ أصنافُ العَجَمِ)[1].

الخاتمة

والذي نخلص إليه بعد دراسة منهج العلامة محمد بن إبراهيم سعيد كعباش في تفسيره لسورة النور مبلغ الأثر للدلالة اللغوية في توجيه المعنى في القرآن الكريم واستنباط أحكامه؛ قصد تسهيل فهمها للعامة من الناس؛وقد أظهر علماء التفسير قديمًا وحديثًا حرصهم على إجادة علوم اللغة العربية وإتقانها، فكانت تفاسيرهم منهلاً عذباً لاستقامة المنهج وسلامة التصور، وصورة ناصعة للمنهج اللغوي السليم؛ ومن أهم ما توصلت إليه هذه الدراسة:

١- إسهام المفسرين قديمًا وحديثًا في وضع أسس الممارسة اللغوية الدلالية؛ بأبحاثهم المتنوعة عن الدلالة اللغوية؛ وكانت محاولاتهم في إدراك سنن اللغة العربية وكنْهِ أسرارها المطيّةَ المثلى لتحقيق مقاصدهم الشرعية.

٢- كشفت الدراسة عن تنوع مصادر الدلالة اللغوية عند المفسر الشيخ كعباش، لتظهر للدارس صورة المفسر المدرك لمراتب الاستشهاد اللغوي وصحته، والذي يتدرج من القرآن الكريم، فالحديث الشريف، ثم كلام العرب؛ شعرًا ونثرًا. ليصل به إلى الارتكاز على أقوال علماء السلف والمفسرين.

٣- بدت الدلالة اللغوية ذات أثر واضح عند المفسّر؛ فهي الوسيلة الأنجع عنده للوصول إلى معاني الآيات القرآنية؛ وهو حين يريد توضيح ما تضمنته آية من الآيات من الأحكام؛ينطلق مما أسماه بـ «التحقيق اللغوي» لها ثم ينتقل إلى الشرح والتفسير؛وهذا المنهج اللغوي له أهميته في استنباط الأحكام

١- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تح: علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، (د.ط)، ٢٠٠٢، ص٨١.

الشرعية المتضمنة في السورة، ويعزز من القيمة اللغوية والبلاغية لهذا التفسير.

٤- هيمنت الدلالة المعجمية على التفسير؛لأنها تحقق مقاصد المفسر في تفسيره؛ وهي التيسير والتسهيل لألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه؛ حتى يفهم العامة من الناس الأحكام الشرعية المتضمنة في آيات السورة؛ ولهذا صح وصفها بالدلالة الاجتماعية؛ والمفسر لا يكتفي في أحيان كثيرة بإيراد وجه واحد لمعنى اللفظ بل يقلبه على وجوهه المختلفة؛ وقد رأينا هذا المسلك في تفسير الطبري(ت٣١٠هـ) الذي (يَعْمَدُ إلى تحليلِ الألفاظِ تحليلاً مُعجميًّا، وذلك بتوجيهِ الكلمةِ إلى أَصلِها، أو مفارقتِها عن شبيهها، أَو غيرِ ذلك من الأساليبِ التي اتخذها أَصحابُ معاجمِ اللغةِ في بيانِ دَلالةِ الألفاظِ العربيةِ)[1].

٥- من منهج المفسّر الأخذ بالدلالة الصوتية؛ وهو ما يظهر مكانة البناء الصوتي وإيقاعه في النص القرآني؛ إذ عرض للحركات الصوتية قصيرة وطويلة وأثرها في تغيير دلالة الألفاظ القرآنية، إلى جانب رصده لظواهر صوتية ترتبط بالقراءات القرآنية مثل التسهيل والتخفيف.

٦- كانت للمفسّر عناية خاصة بالدلالة الصرفية تجلّت في تتبعه للتغيّرات التي طرأت على صيغ المفردات القرآنية في السورة، وما أحدثته الزيادة في المباني من تغيّر في المعاني وما أكسب ذلك من خصوصية للتعبير القرآني.

٧- اعتنى المفسر عناية خاصة بالدلالة النحويّة في إيضاح الجانب التركيبي للنص القرآني؛ من خلال تحديد الوظائف النحوية للألفاظ القرآنية في سياقها التركيبي، وبيان أنماط الإسناد اللغوي، وما يلحقه من حذف وتقدير أو تقديم

١- مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٠١، ١٤٣٢هـ، ص١٩٠.

أو تأخير؛ وعرض لحروف المعاني لما تضطلع به من وظائف نحوية ودلالية.

٨- ألهمت التفاسير القديمة والحديثة المفسر الشيخ كعباش أسس التحليل اللغوي، وآليات النظر المعرفي في أبنية ألفاظ القرآن الكريم وإعرابها ودلالاتها.

٩- وجامع القول أن من أسس المنهج التفسيري عند العلامة «محمد بن إبراهيم سعيد كعباش» في سورة النور الميل إلى منحى الاتجاه التفسير اللغوي راغبًا من توظيف اللغة مسلكًا أمينًا لإِصابةِ الحقِّ فِي تفسير الْقُرْآنِ وتأويله.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إبراهيم أنيس(ت١٩٧٧م)، الأصوات اللغوية، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط٠٥، ١٩٧٥.
- إبراهيم أنيس(ت١٩٧٧م)، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٠٥، ١٩٨٤.
- إبراهيم بن عمر بيوض(ت١٩٨١م)، في رحاب القرآن الكريم، تحقيق: الشيخ الناصر بن محمد المرموري، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط٠١، ٢٠٠٠م.
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط٠٥، ١٩٩٨م.
- الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن (ت٦٨٦هـ)، شرح الرضي لشافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٠١، ١٩٨٢م.
- الاستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن (ت٦٨٦هـ)، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق: يحي بشير مصري، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط٠١، ١٩٩٦م.
- أبو الأعلى المودودي (ت١٩٧٩م)، تفسير سورة النور، تر: محمد عاصم الحداد، دار الفكر، دمشق، ط٠١، ١٩٦٠م.
- الألباني محمد ناصر الدين(ت١٩٩٩م)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، مكتبة المعارف، الرياض، ط٠١، ١٩٩٥م.
- الألباني محمد ناصر الدين (ت١٩٩٩م)، صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٠٣، ١٩٨٨م.
- إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت ط٠١، ١٩٨٢م.
- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، ط٠٢، ٢٠٠٢م.

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى(ت٢٧٩هـ)، الجامع الصحيح، تحقيق: إبراهيم عوض، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط٠٢، ١٩٧٥.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تح: علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، (د.ط)، ٢٠٠٢م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ)، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠٦م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي ناصف النجدي، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، وزارة الأوقاف، القاهرة، مصر، ١٩٩٤م.
- الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام(ت٢٣١هـ)، تقديم ومراجعة: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٠٢، ١٩٩٤م.
- الرازي، أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر (ت٢٧٧هـ)، الزينة معجم اشتقاقي في المصطلحات الدينية والثقافية، تحقيق: سعيد الغانمي، منشورات الجمل، بغداد، د.ط، ٢٠١٥.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(ت٦٦٠هـ)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، د. ط، ١٩٨٦م.
- الرازي، محمد فخر الدين(ت٦٠٤هـ)، التفسير الكبير، بيروت، لبنان، ط٠١، ١٩٨١م.
- الراغب الأصفهاني(ت٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط٠٤، ٢٠٠٩م.
- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِي(ت٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط٠١، ١٩٨٨.
- زكريا بن محمد الأنصاري(ت٩٢٦هـ)، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٠١، ١٩٩١م.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي(ت٥٣٨هـ)، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٠٣، ٢٠٠٣م.

- ابن زيدون(ت٤٦٣هـ)، ديوان ابن زيدون، تحقيق: يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٠٢، ١٩٩٤.
- سعيد الأفغاني (ت١٩٩٧م)، في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٠١، ١٩٨٧م.
- سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم، انشراح الصدور في تدبر سورة النور، دار العاصمة، الرياض، ط٠١، ٢٠٠٥م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط٠٣، ١٩٨٨م.
- السيد أحمد عبد الغفار، التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ط)، ١٩٩٦م.
- السيد محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٠١، ٢٠٠٣م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر (ت٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، د. ط، ١٩٨٦.
- الشريف الجرجاني علي بن محمد بن علي الحسني(ت٨١٦هـ)، التعريفات، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، د. ط، ١٩٨٥م.
- صباح عبيد دراز، أساليب القصر في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط٠١، ١٩٨٦م.
- طاهر الجزائري، ابن الشيخ صالح بن أحمد (ت١٩٢٠م)، أشهر الأمثال، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط٠١، ٢٠١٢م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط٠١، ٢٠٠١م.
- ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله المالكي(ت٥٤٣هـ)، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٠٣، ٢٠٠٣م.

- العسقلاني أحمد بن علي بن حجر (ت٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط٠١، ١٣٧٩هـ.
- ابن فارس أحمد بن زكريا الرازي أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية وسننِ العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٠١، ١٩٩٧م.
- فتحي الطيب الخماسي، مصحف القراءات؛ لأشهر القراءات المتداولة في العالم الإسلامي، إشراف: علي أبو الخير، دار الخير، دمشق، ط٠١، ٢٠٠٩م.
- الفيروز آبادي أبو طاهر مجيد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي(ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٠٨، ٢٠٠٥م.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٠٢، ١٩٩٩م.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني(ت٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ط، ١٣٧٢هـ.
- مالك بن أنس(ت١٧٩هـ)، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٠١، ١٩٨٥م.
- مجموعة من المؤلفين، فعاليات مهرجان ختم تفسير القرآن الكريم لفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، دار الكتاب الملكي، بئر التوتة، ط٠١، ٢٠١٥م.
- محمد بن إبراهيم سعيد كعباش، شرح الصدور لتفسير سورة النور، المطبعة العربية، غرداية، ط٠١، ٢٠٠٧م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم جمال الدين أبو الفضل (ت٧١١هـ)، لسان العرب، طبعة دار الجيل، بيروت، (د. ط)، ١٩٨٨م.
- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصرية، القاهرة، د. ط، ١٣٦٤هـ.

- محمد نور الدين المنجد، الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، دار الفكر، دمشق، ط٠١، ١٩٩٧.
- محمود أحمد الزين، أهمية اللغة العربية في فهم القرآن والسنة، دائرة الشؤون الإسلامية، دبي، ط٠١، ٢٠٠٩م.
- مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٠١، ١٤٣٢هـ.
- النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٠٢، ٢٠٠٢م.

References:

- The Holy Quran.
- Ibrahim Anis, Linguistic Sounds, Anglo-Egyptian Library, Cairo, T05, 1975.
- Ibid, Semantics, The Anglo-Egyptian Library, Cairo, I 05, 1984.
- Ibrahim bin Omar Baywad (1989), in Rihab al-Quranah, Investigation: Sheikh Nasser bin Mohammed al-Murmuri, Publications of the Ministry of National Heritage and Culture, Muscat, Sultanate of Oman, T01, 2000.
- Ahmad Mukhtar Omar, Semantics, World of Books, Cairo, I 05, 1998.
- Al-Astrabadi, Radhi Al-Din Muhammad bin Al-Hassan (d. 686 AH), Sharh Al-Radhi by Kafia Ibn Al-Hajib, Auditing: Yahya Bashir Masri, published Imam Mohammed Bin Saud Islamic University, Riyadh, I 01, 1996.
- Ibid, Sharh Al-Radhi for Shafi'a Ibn Al-Hajib, Auditing: Muhammad Noor Al-Hassan and others, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, Ed. 01, 1982.
- Abu al-Ala al-Mawdudi (d. 1979 AD), the interpretation of Surat al-Nur, see: Muhammad Asim al-Haddad, Dar al-Fikr, Damascus, ed. 01, 1960.
- Al-Albani Muhammad Nasser al-Din (1999 CE), Sahih al-Jami` al-Saghir and its Increase, Islamic Office, Beirut, (3th edition), 1988.
- Ibid, a series of authentic hadiths and some of their jurisprudence, Al-Maaref Library, Riyadh, (01th edition)1995.
- Emile Badi Yacoub, Arabic philology and characteristics, Dar Al-Alam for Millions, Beirut, (I 01), 1982.
- Al-Bukhari Abu Abdullah Muhammad bin Ismail (d. 256 AH), Sahih Al-Bukhari, Dar Ibn Katheer, Damascus, , (I 02), 2002.
- Al Tirmidhi, Abu Issa Mohammed Bin Issa(d. 279 AH), Al Jami' Alsahih (The Right Compilations). Auditing: Ibrahim Awad. Mustafa Al-Halabi Library, Cairo, (2nd ed.), 1975.
- Al-Jahiz, Abu Othman Amr bin Bahr (d. 255 AH), Al-Bayan and al-Tabyeen, Auditing: Ali Abu Melhem, Al-Hilal House and Library, Beirut, Lebanon, (D. i), 2002.
- Ibn Jani, Abu al-Fath Othman (d. 392 AH), Al Khasais, Auditing: Muhammad Ali al-Najjar, Dar al-Kutub al-Masria, Cairo, (d. I), 2006.

- Ibid, almuhtasab fi tabyiyn wujuh shiwadh alqarra'at wal'iidah eanha, Auditing: Ali Nassef Al-Najdi, Abdel-Fattah Ismail Shalaby, Committee for the Revival of Islamic Heritage, Ministry of Endowments, Cairo, Egypt, 1994.
- Alkhatib altabriziu, sharah diwan 'abi tmam(t231h), Auditing: raji al'asmari, Arab Book House, Beirut, (I 02), 1994.
- Al-Razi, Abu Hatim Muhammad bin Idris bin Al-Mundhir (d. 277 AH), Al-Zaina, an etymological glossary in religious and cultural terms, Auditing: Saeed Al-Ghanmi, Al-Jamal Publications, Baghdad, Dr. I, 2015.
- Al-Razi, Muhammad ibn Abi Bakr ibn Abd al-Qadir (d. 660 AH), Mukhtar al-Sahah, Library of Lebanon Publishers, Beirut, (Dr. I), 1986.
- Al-Razi, Muhammad Fakhruddin (d. 604 AH), altafsir alkabiru, Beirut, Lebanon, (I 01), 1981.
- Al-Ragheb Al-Isfahani (d. 425 AH), Vocabulary of the Words of the Qur'an, Auditing: Safwan Adnan Dawoodi, Dar Al-Qalam, Damascus, (I 04), 2009.
- Al-Zajaj, Abu Ishaq Ibrahim bin Al-Sarri (d. 311 AH), The meanings of the Qur'an and its syntax, Auditing: Abd al-Jalil Abdo Shalabi, World of Books, Beirut, (I 01), 1988.
- Zakaria bin Muhammad al-Ansari (d. 926 AH), alhudud al'aniqat waltaerifat aldaqiqat, Auditing: Mazen Al-Mubarak, Dar Al-Fekr Al-Muasara, Beirut, (Ed 02), 1991.
- Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Jarallah Mahmoud bin Omar Al-Khwarizmi (d. 538 AH),), tafsir alkishaf ean haqayiq altanzil waeuyun al'aqawil fi wujuh altaawili, Auditing: Khalil Mamoun Shiha, Dar Al-Maarifa, Beirut, Lebanon, (I 03), 2003.
- Ibn Zaydoon (d. 463 AH), Diwan Ibn Zaydun, Auditing: Youssef Farhat, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut, (Ed 02), 1994.
- Saied Al-Afghani (d. 1997 AD), in Fundamentals of Grammar, Islamic Office, Beirut, (Ed. 01), 1987.
- Suleiman bin Ibrahim bin Abdullah Al-Lahim, explaining the breasts in Surat Al-Nour, Dar Al-Asimah, Riyadh, (Ed. 01), 2005.
- Sibawayh, Abu Bishr Amr bin Othman bin Qanbar (d. 180 AH), The Book, Investigation: Abd al-Salam Muhammad Harun, Al-Khanji Library, Cairo, Egypt, . (3th ed.)1988.

- Alsyd Muhammad Amim Al-Ihssan Al-Mujddi Al-Barakti, Fiqh Definitions, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, (Ed. 01), 2003.
- Alsyd Ahmed Abdel Ghaffar, Linguistic Perception among Scholars of Fundamentals of Jurisprudence, University Knowledge House, Alexandria, (D.T.), 1996.
- Al-Suyuti, Jalal Al-Din Abd Al-Rahman Bin Kamal Al-Din Abi Bakr (d. 911 AH), Al-Mizhar in Language Sciences and its Types, Auditing: muhamad jadin al-mawalaa, muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, eali muhamad albjawy, The Modern Library, Beirut, (d. I), 1986.
- Al Sharif Al-Jarjani Ali bin Muhammad bin Ali al-Hassani (d. 816 AH), Dictionary of Definitions/Semantic Dictionary, Auditing: The Library of Lebanon Publishers, Beirut, (Dr. I), 1985.
- Sabah Obeid Draz, methods of minors in the Noble Qur'an and their rhetorical secrets, Al-Amana Press, Cairo, (I 01), 1986.
- Taher Al-Jazaeri, abn alshaykh salih bin ahmd (d. 1920 AD), the most famous proverbs, Hindawi Foundation for Education and Culture, Cairo, (I 01), 2012.
- Al-Tabari, Abu Ja`far Muhammad bin Jarir (d. 310 AH), Jami` al-bayan `an ta'wil 'ay alQur'an, (Tafsir al-Tabari), Ed: Abdullah bin Abdul Mohsen al-Turki, Hajar House for Printing and Publishing, Cairo, Egypt, (I 01), 2001.
- Ibn al-Arabi Abu Bakr Muhammad bin Abdullah al-Maliki (d. 543 AH), the provisions of the Qur'an,). Auditing: Muhammad Abdul Qadir Atta, House of Scientific Books, Beirut, (I 03), 2003.
- Al-Asqalani Ahmad bin Ali bin Hajar (d. 852 AH), Fath Al-Bari explaining Sahih Al-Imam Al-Bukhari, Auditing: Abdul Aziz bin Abdullah bin Baz, Muhammed Fouad Abdel-Baqi, Moheb Al-Din Al-Khatib, Salafi Library, Al-Madinah Al-Munawwarah, i 01, 1379 AH.
- Ibn Faris Ahmed bin Zakaria al-Razi Abu al-Hussein (d. 395 AH), Al-Sahibi fi Fiqh al-Lughah, Auditing: Ahmed Hassan Basaj, Dar Al-Kutub Al-Alamiya, Beirut, Lebanon, (I 01), 1997.
- Fathi Al-Tayeb Al-Khamasi, Qur'an of Recitations, for the most famous readings in the Islamic world, Auditing: Ali Abu Al-Khair, Dar Al-Khair, Damascus, (01nd ed.), 2009.
- Al-Firuz abadi 'abu tahir majid aldiyn muhamad bin yaequb bin muhamad bin 'Ibrahim alshyrazy (d. 817 AH), Al-Qamus al-Muhit, the Al-Risala Foundation, Beirut, 08th edition, 2005.

Contents



UNITED ARAB EMIRATES - DUBAI
AL WASL UNIVERSITY

AL WASL UNIVERSITY JOURNAL

Specialized in Humanities and Social Sciences

A Peer-Reviewed Journal

ISSUE NO. 62
Dhu al-Qa'dah 1442H - June 2021CE

ISSN 1607- 209X

This Journal is listed in the **“Ulrich’s International Periodicals Directory”** under record No. 157016

e-mail: research@alwasl.ac.ae, awuj@alwasl.ac.ae



UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
AL WASL UNIVERSITY

Al Wasl University Journal

Specialized in Humanities and Social Sciences
A Peer-Reviewed Journal - Biannual
(The 1st Issue published in 1410 H - 1990 C)

June - Dhu al-Qa'dah
2021 CE / 1442 H

62

Issue No. 62

Email: research@alwasl.ac.ae
Website: www.alwasl.ac.ae